من تراث العلامة النَّدوي

مَقَالَاتٌ وَبُحُوثٌ حَوْلَ الإِسْتِشْرَاقِ وَالمُسْتَشْرِقِينَ

لِلعلَّامة الإمام السيّد أبي الحسن علي الحسني النَّدويّ

إعداد
سيّد عبد الماجد الغوري

دار ابن كثير

مَقالاتٌ وبُحُوثٌ

حَوْلَ

الإِسْتِشْرَاقِ والمُسْتَشْرِقِين

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م



دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
ص . ب : ٣١١ - هاتف: ٢٢٢٥٨٧٧ - ٢٢٢٨٤٥٠ - فاكس: ٢٢٤٣٥٠٢

بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
ص.ب: ١١٣/٦٣١٨ - تلفاكس ٨١٧٨٥٧ . ٠١ - ٣٢٠٤٥٩ . ٠٣

من تراث العلامة النَّدوي

مَقالاتٌ وَبُحُوثٌ حَوْلَ الإستشراقِ والمُسْتشرِقين

لِلْعلاَّمة الإمَام السَّيّد أبي الحسَن علي الحسني النَّدويّ

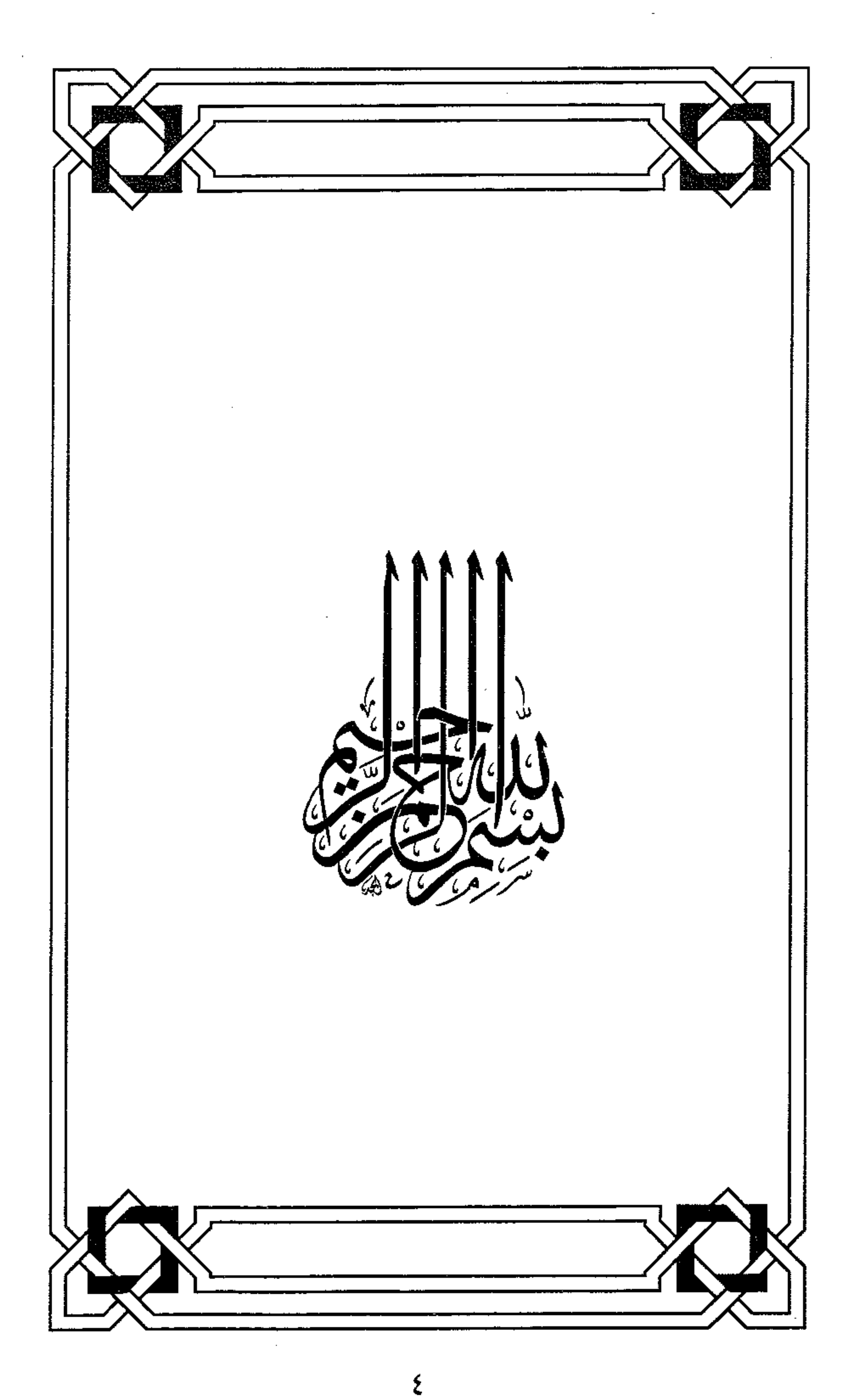
١٣٣٣ - ١٤٢٠هـ

إعداد

سيّد عبد الماجد الغوري



دمشق - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد عقد مؤتمر «الإسلام والمستشرقون» بمجمع الهند الإسلامي الكبير «دار المصنفين» في مدينة أعظم كره (الهند) على النطاق العالمي في الفترة ما بين ٢٦ ـ ٢٨ ربيع الآخر ١٤٠٢ هـ و٢١ ـ ٢٣/ فبراير ١٩٨٢ م بإشراف رئيس هذا المجمع الكبير العلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ـ رحمه الله ـ ، وكان أول مؤتمر علمي عقد حول هذا الموضوع.

وقد حضره من الضيوف العرب وعلماء الهند وباكستان ما لم يكن يُتوقَّع حضوره ، فكان جمعاً كريماً طيباً ، حضره المندوبون الذين مثَّلوا المراكز العلمية والثقافية والدينية والمؤسسات الإسلامية لمختلف الدول ، وتولَّى العلامة الدكتور يوسف القرضاوي ـ حفظه الله ورعاه ـ رئاسة هذا المؤتمر ، وقد قدَّم فيه العلامة الندوي بحثاً قيّماً في موضوع «الإسلام والمستشرقون» ، وقد اعترف فيه ـ إلى الحد الضروري المناسب وفق التعاليم الإسلامية الخلقية ـ بجهود المستشرقين وإنتاجهم ، وذكر كتبهم ومؤلفاتهم الَّتي لا انتقاد لها من الناحية الإسلامية ، ثمَّ انتقد عادة تَلَمُّسهم للنقص والمعايب حسب نظرهم ، وتصيُّدهم لمواضع الضعف والنقد ، وصَرَّح بمنهجهم

الاستشراقي الخطير ، والنتائج الخطيرة للاعتماد الزائد في الأوساط العلمية على كتب المستشرقين والثقة الزائدة بهم.

وبعد إلقاء الأضواء على أعمال المستشرقين ومنهجهم في البحث والعرض استعرض العلامة ـ رحمه الله ـ جهود العالم الإسلامي في الموضوعات الإسلامية ، وذكر فيه ضحالة الإنتاج الإسلامي في العالم العربي والإسلامي باللغات الغربية ، وتفوق الهند وميزتها ، وإنتاج علمائها وكتَّابها لمكتبة إسلامية قوية في اللغة الإنكليزية.

ولعل هذا البحث أول بحث بالعربية استعرض فيه العلامة الندوي جهود العلماء والمؤلفين الفضلاء في البحث والتحقيق والدراسة في الهند ، وما امتاز به علماء المدارس القديمة من تفانٍ في الهدف ، وشغفٍ بالموضوع، وجهد وإخلاص، وفضل ورجحان ، ثم استعرض أعمال البحث والدراسة في العالم العربي والإسلامي.

ونوَّه أخيراً بأن من أكبر أنواع الجهاد في عصرنا الحاضر ومسؤوليته اللازمة ، هي مقاومة تلك الرِّدَّة العقلية والحضارية التي نشرتها كتابات المستشرقين الغربيين أو «بحوثهم ودراساتهم» في العالم الإسلامي.

وسيلمس القارىء الكريم في بحث العلامة الندوي ـ رحمه الله ـ دقة نظره في كتابات المستشرقين وبحوثهم ، نرجو الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب ، إنه سميع مجيب وهو على كل شيء قدير.

حيدرآباد ٢٤/ فبراير ٢٠٠٠ م

كتبه

المعتز بالله تعالى

عبد الماجد الغوري

ملامح مِن حَياة العلاَّمة
أبي الحسن علي الحسني الندوي وشخصيته

اسمه ونسبه وأسرته:

* علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، ينتهي نسبه إلى عبد الله الأشتر بن محمّد ذي النفس الزكية بن عبد الله المحض ، بن الحسن (المثنى) بن الإمام الحسن السبط الأكبر بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، أول من استَوْطَنَ الهند من هذه الأسرة في أوائل القرن السابع الهجري هو الأمير السيّد قطب الدين المدني (٦٧٧ هـ).

* أبوه العلاّمة الطبيب السيّد عبد الحيّ بن السيد فخر الدين الحسني الذي استحق بجدارة لقب «ابن خلكان الهند» لمؤلفه القيم «نزهة الخواطر» في ثماني مجلدات عن أعلام المسلمين في الهند وعمالقتهم ، طُبِعَ أخيراً باسم «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام».

* أمّه ـ رحمها الله ـ كانت من السيّدات الفاضلات ، المربّيات النادرات ، المؤلّفات المعدودات ، والحافظات للقرآن الكريم ، تقرض الشعر ، وقد نظمت مجموعة من الأبيات في مدح رسول الله ﷺ.

ميلاده ونشأته:

* أبصرَ النورَ في ٦ محرم ١٣٣٣ هـ الموافق عام ١٩١٤ م بقرية «تكية

كلان» الواقعة قرب مديرية رائي بريلي في الولاية الشمالية (أترابرديش).

* بَدَأَ دراسته الابتدائية من القرآن الكريم في البيت، ثم دَخَلَ في الكُتّاب حيث تعلّم مبادىء اللغتين (الأردوية والفارسية).

* توفي أبوه عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م) وكان عمره يتراوح آنذاك بين التاسعة والعاشرة، فتولّى تربيته أمّه الفاضلة، وأخوه الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني الذي كان يدرس آنذاك في كلية الطب بعد تخرّجه في دار العلوم ديوبند الإسلامية ودار العلوم ندوة العلماء، وإليه يرجع الفضل في توجيه وتربية سماحة الشيخ الندوي.

* بدأ دراسة العربية على الشيخ خليل بن محمّد الأنصاري اليماني في أواخر عام ١٩٢٤ م، وتخرّج عليه مستفيداً في الأدب العربي، ثمّ توسَّعَ فيه وتخصَّصَ على الأستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي عند مقدمه إلى ندوة العلماء عام ١٩٣٠ م.

* التحق بجامعة لكهنؤ ـ فرع الأدب العربي عام ١٩٢٧ م، ولم يتجاوز عمره آنذاك الأربعة عشر عاماً، وكان أصغر طلبة الجامعة سناً، ونالَ منها شهادة فاضل أدب في اللغة العربية وآدابها، قرأ خلال أيام دراسته في الجامعة كتباً تعتبر في القمة في اللغة العربية والأردوية، ممّا أعانه على القيام بواجب الدعوة وشرح الفكرة الإسلامية الصحيحة، وإقناع الطبقة المثقفة بالثقافة العصرية، وتَعَلَّمَ الإنجليزية مما مكّنته من قراءة الكتب المؤلفة بها في التاريخ والأدب والفكر.

* التحق بدار العلوم ـ ندوة العلماء عام ١٩٢٩ م وقرأ الحديث الشريف (صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي) حرفاً حرفاً مع شيء من تفسير البيضاوي على العلّامة المحدّث الشيخ حيدر حسن خان الطونكي، ودرس التفسير لكامل القرآن الكريم على العلّامة المفسر المشهور أحمد علي اللاّهوري في لاهور عام ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢ م، وحَضَرَ دروس

العلاّمة المجاهد حسين أحمد المدني في صحيح البخاري وسنن الترمذي خلال إقامته في دار العلوم ديوبند ، واستفاد منه في التفسير وعلوم القرآن أيضاً.

جهوده العلمية ونشاطاته الدعويّة:

* انخرَطَ في سلك التدريس من عام ١٩٣٤ م ، وعُيِّنَ أستاذاً في دار العلوم ندوة العلماء لمادتي التفسير والأدب ، خلال تدريسه في دار العلوم ندوة العلماء استفاد من الصحف والمجلاّت العربية الصادرة في البلاد العربية ، ممّا عرفه على البلاد العربية وأحوالها ، وعلمائها وأدبائها ومفكريها عن كثب ، واستفاد أيضاً من كتب المعاصرين من الدعاة والمفكرين العرب وفضلاء الغرب والزعماء السياسيين.

* قام برحلة استطلاعية للمراكز الدينية في الهند عام ١٩٣٩ م ، تَعَرَّفَ فيها على الشيخ المربّي العارف بالله عبد القادر الرأي فوري والداعية المصلح الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ، وكان هذا التعرّف نقطة تحوّل في حياته ، وبَقِيَ على الصلة حتى وافاهما الأجل المحتوم ، وتَلَقَّى التربية الروحية من الشيخ عبد القادر الرأي فوري واستفاد من صحبته ومجالسته ، وتَأَسَّى بالشيخ محمّد إلياس الكاندهلوي في القيام بواجب الدّعوة وإصلاح المجتمع ، وقَضَى زمناً طويلاً في رحلات وجولات دعوية متتابعة للتربية والإصلاح والتوجيه الديني في الهند وخارجها.

* أسَّسَ مركزاً للتعليمات الإسلامية لتنظيم حلقات درس القرآن الكريم والسنة النبوية عام ١٩٤٣م ، وأَسَّسَ حركة رسالة الإنسانية بين المسلمين والهندوس عام ١٩٥١ م ، والمجمع الإسلامي العملي بدار العلوم ـ ندوة العلماء في لكهنؤ عام ١٩٥٩ م.

* عُيِّنَ أميناً عاماً لدار العلوم ندوة العلماء عام ١٩٦١م.

* شارك في تأسيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية (أترابرديش) عام

١٩٦٠ م ، وفي تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي لعموم الهند عام ١٩٦٤ م ، وفي تأسيس هئية الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند عام ١٩٧٢.

أهمّ مؤلفاته:

* نشِرَ له أول مقال بالعربية في مجلّة «المنار» للعلاّمة السيّد رشيد رضا المصري عام ١٩٣١ م حول شخصية الإمام السيّد أحمد بن عرفان الشهيد ، وكان عمره ـ آنذاك ـ الأربعة عشر عاماً.

* ظهَرَ له أوّل كتاب بالأردوية عام ١٩٣٧ م يحمل عنوانه اسم «سيرت أحمد شهيد» ونَالَ قبولاً عاماً في الأوساط الدينية والعلمية في الهند وباكستان.

* بدأ سلسلة تأليف الكتب المدرسية بالعربية ، وظَهَرَ أوّل كتاب فيها بعنوان «مختارات من أدب العرب» عام ١٩٤٠م ، و«قصص النبيين» للأطفال و«القراءة الراشدة» عام ١٩٤٤ م. وقررت جميع هذه الكتب في مقرّرات جامعات البلدان العربية والهندية.

* أَلَّفَ كتابه المشهور «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» عام ١٩٤٤ م.

* دعِيَ أستاذاً زائراً في كلية الشريعة جامعة دمشق عام ١٩٥٦ م ، وألْقىٰ محاضرات بعنوان «التجديد والمجدّدون في تاريخ الفكر الإسلامي» نُشِرتْ بعد ذلك في شكل كتاب مستقلّ ينضوي تحت أربع مجلدات باسم «رجال الفكر والدعوة في الإسلام».

* أَلَّفَ كتابه حول القاديانية بعنوان «القادياني والقاديانية» عام ١٩٥٨ م ، وكتابه «الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية في الأقطار الإسلامية» عام ١٩٦٥ م وكتابه «الأركان الأربعة» عام ١٩٦٧ ، و«السيرة النبوية» عام

١٩٧٦ م ، و«العقيدة والعبادة والسلوك» عام ١٩٨٠م ، و«المرتضى» في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عام ١٩٨٨ م.

* شارك في تحرير مجلة «الضياء» العربية الصادرة من دار العلوم ـ ندوة العلماء عام ١٩٣٢م ، ومجلّة «الندوة» الأردوية الصادرة منها أيضاً عام ١٩٤٠م ، وأَصْدَرَ مجلّة باسم «تعميرحيات» في الأردوية عام ١٩٤٨ م ، وكَتَبَ مقالات في الأدب والدعوة والفكر في أمّات المجلاّت العربية الصادرة من مصر ودمشق كـ : «الرّسالة» للأستاذ أحمد حسن الزيات و«الفتح» للأستاذ محب الدين الخطيب و«حضارة الإسلام» للدكتور مصطفى السباعي و«المسلمون» للدكتور سعيد رمضان المصري.

* أشْرَفَ على إصدار جريدة «نداي ملّت» الأردوية عام ١٩٦٢ م ، وكذلك أشرف على مجلّة «البعث الإسلامي» العربية الصادرة عام ١٩٥٥ م وجريدة «الرائد» العربية الصادرة منذ عام ١٩٥٩ م ومجلة «تعميرحيات» الأردوية الصادرة منذ عام ١٩٦٣ م ، وكلها تصدر من دار العلوم ـ ندوة العلماء في لكهنؤ ، (الهند).

رحلاتـــه:

سافَرَ إلى الشرق والغرب مرات داعيةً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، عاملاً على إعلاء كلمة الإسلام بالكلمة المسموعة والمقروءة وبالعمل الإيجابيّ البنَّاء في كل مجال ، جوَّاباً للآفاق في سبيل الله ، محاضراً ، ومحدثاً ، ومحاوراً ، واعظاً وهادياً ، ومشاركاً بالرأي والفكر في المجالس العلمية ، والمجامع الجامعية والمؤسسات الإسلامية ، والمؤتمرات والندوات فيها[1].

---

(١) انظر للاطلاع على رحلاته كتاب «رحلات العلامة أبي الحسن علي الندوي محاضراته ـ مشاهداته ـ لقاءاته ـ انطباعاته». صدر من دار ابن كثير دمشق ـ بيروت عام ١٩٩٩م.

تقديـر وتكـريـم:

* انتخبه مجمع اللغة العربية بدمشق والقاهرة والأردن عضواً مراسلاً لما اتصف به من العلم الجمّ، والبحث الدقيق في ميادين الثقافة العربية والإسلامية، ولمساعيه المكثفة المشكورة في سبيلها.

* اختير عضواً في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ تأسيسها عام ١٩٦٢ م.

* اختير عضواً في رابطة الجامعات الإسلامية منذ تأسيسها عام ١٩٧١ م.

* اختير لاستلام جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٩٨٠ م، لتأليفه القيم «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين».

* منح شهادة الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعة كشمير عام ١٩٨١ م.

* اختير رئيساً لمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بلندن عام ١٩٨٣ م.

* اختير عضواً في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية وللبحث والتأليف والتحقيق في عمّان (الأردن).

* اختير رئيساً عاماً لرابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض) عام ١٩٨٤ م.

* أقيمت ندوة أدبية كبيرة حول حياته وجهوده الحثيثة ومساعيه المشكورة، ومفاخره العظيمة في مجال الدعوة والأدب عام ١٩٩٩ م في إستانبول «تركية».

* اختير لاستلام جائزة الشخصية الإسلامية لعام ١٤١٩ هـ لخدماته الجليلة ومآثره العظيمة في مجال الدعوة الإسلامية، وقَدَّمَ إليه الجائزةَ في الإمارات العربية المتحدة سمو الشيخ محمد بن راشد المكتوم.

رئاسته وعضويته للجامعات والمجامع:

* تولَّى العلامةُ الرئاسة والعضوية لعدة جامعات إسلامية ومجامع عربية ومنظمات دعوية ومراكز دينية في العالم الإسلامي وخارجه، ومنها على سبيل المثال:

الأمين العام لدار العلوم ـ ندوة العلماء (الّتي أخذت صفة العالمية منذ ترأس أمانتها، وتَـفَوَّقَتْ على معظم جامعات العالم الّتي تَهْتَمّ بشؤون الدراسات الإسلامية والعربية لأنَّها تجمع بين القديم الصالح والجديد النافع).

رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض).

رئيس المجمع الإسلامي العلمي في لكهنؤ (الهند).

رئيس مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية (إنجلترا).

رئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند.

رئيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية (أترابرديش).

عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

عضو المجلس التأسيسي الأعلى العالمي للدعوة الإسلامية بالقاهرة.

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

عضو مجمع اللغة العربية الأردني.

عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) بالأردن.

عضو رابطة الجامعات الإسلامية بالرباط.

عضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

عضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد (باكستان).

عضو المجلس الاستشاري بدار العلوم ديوبند الإسلامية (الهند).

* وعدا ذلك تولّى العلامة الرئاسة والعضوية لكثير من الجامعات الإسلامية، والمراكز الدينية والمنظمات الدعوية ولجان التعليم والتربية في العالم الإسلامي وخارجه.

وفـاتــه:

توفي -رحمه الله- يوم الجمعة ٢٣/من شهر رمضان المبارك ١٤٢٠هـ وكان آخر يوم من شهر ديسمبر ١٩٩٩م، فغربت شمس القرن العشرين. توفي في بلدة رائي بريلي الواقعة على مسافة ٦٠ كيلو متراً من بلدة لكهنؤ، اغتسل لصلاة الجمعة وأمر طالباً من طلابه أن يقرأ عليه سورة الكهف، وما أن انتهت سورة الكهف حتى فاضت روحه. إنا لله وإنا إليه راجعون. تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه.

ومـا كـان قيـس هلكـه هلـك واحـد
ولكنـه بنيـان قـوم تهـدّمـا

صلى حوالي خمسة ملايين من المسلمين الوافدين من مختلف أنحاء العالم صلاة الغائب على الجنازة في الحرمين الشريفين في ٢٧ رمضان بعد صلاة العشاء[1].

* * *

---

(١) انظر كتاب «أبو الحسن علي الحسني الندوي الإمام المفكر الداعية الأديب»، للاطلاع على حياة سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، وجهوده الحثيثة في خدمة الدعوة الإسلامية، ومآثره القيمة في مجال الأدب، وموقفه من القضايا الإسلامية والعربية، وتعريف لأهمّ مؤلّفاته، صَدَرَ عن «دار ابن كثير دمشق - بيروت ١٩٩٩ م».

المستشرقون
وسوء تأثيرهم على التفكير(١)

المستشرقون وعلماء الغرب الذين وقفوا حياتهم لدراسة العلوم الإسلامية ، ويحتلون مكانة رفيعة من الإعجاب والإجلال في أوساط الغرب والشرق السياسية والعلمية ، ويقام لآرائهم ونظرياتهم في البحوث الإسلامية في الشرق وزن كبير ، أثاروا في قلوب قادة العالم الإسلامي اليوم وزعمائه ـ ممن تثقفوا في مراكز الغرب الثقافية الكبرى أو درسوا الإسلام بلغات الغرب ـ شبهات حول الإسلام ونبي الإسلام والمصادر الإسلامية ، وأحدثوا في نفوسهم يأساً عن مستقبل الإسلام ، ومقتاً على حاضره ، وسوء ظن بماضيه ، كما أن لهم حظاً وافراً في الحث على نعرة «إصلاح الديانة» و«إصلاح القانون الإسلامي» .

إن تاريخ هذا الاستشراق قديم يرجع إلى القرن الثالث عشر الميلادي بكل وضوح ، والعوامل التي كونت هذا التاريخ إنما هي دينية وسياسية واقتصادية .

أما العامل الديني فواضح لا غموض فيه ، وهو يهدف إلى نشر الديانة المسيحية وتبليغ دعوتها ، وتصوير الإسلام بما يثبت به فضل المسيحية

---

(١) نشر هذا المقال في مجلة «البعث الإسلامي» في عددها الثاني ، المجلد التاسع عام ١٩٦٢ م.

ورجحانها على الإسلام ، ويبعث في الطبقة المثقفة إعجاباً بالمسيحية وحرصاً عليها ، ولذلك نرى أن الاستشراق وتبليغ الديانة المسيحية يسيران معاً في أغلب الأحوال ، وأن عدد المستشرقين الأكبر أساقفة ، وعدد كبير منهم يهود ديانة وجنساً.

والعالم السياسي هو أن المستشرقين بصفة عامة كانوا رواد (Pioneers) الدول الغربية في الشرق ، ومن واجبهم أن يمدوها بمددهم العلمي ، وكانوا مصادر مؤكدة للغرب يطلع بها على تفاصيل ومعلومات عن تقاليد الشعوب الشرقية وبلدان الشرق ، وعن طبيعتها ومعيشتها ، ولغاتها وآدابها ، حتى عواطفها ونفسياتها، وذلك ليتسنى للغرب أن يبسط نفوذه وسلطته في الشرق.

وأضف إلى ذلك ما يقوم به هؤلاء المستشرقون من الرد على الأفكار والعقائد وقمع الحركات والأوضاع التي تسبب للدول الغربية عوقاً ومشقة ، وتحدث لها مشكلات وعقبات ، ويحاولون خلق جو لا تكاد تخطر فيه مخالفة على أي بال أو معارضة لها ، بل وتجد حضارتهم إلى قلوب الناس سبيل العظمة والإعجاب حتى يعترفوا بخدماتهم وينبعث فيهم دافع الاقتداء والتقليد ما يحملهم على الاقتفاء بآثارهم في سبيل إصلاح البلاد وترقيتها ، وتبقى سلطة حضارتهم وعقليتهم على النفوس رغم ذهاب دولهم ونهاية حكمهم.

ولذلك فقد شعرت الدول الغربية بقيمة المستشرقين وأهميتهم شعوراً كاملاً وساعدهم زعماؤها عن كل طريق ممكن ، ولتحقيق هذا الغرض يصدر المستشرقون من مختلف أقطار الغرب عدة مجلات ورسائل حول العالم الإسلامي ، ينشرون فيها مقالات تحليلية ومواد تحقيقية تبحث عن مشكلات العالم الإسلامي وميوله ونزعاته ، ولا تزال تصدر مجلة «الشرق الأوسط» (Journal of Near East) ومجلة «العالم الإسلامي» (The Muslim World) من أمريكا ، ومجلة (Lemond Musalmans) من فرنسا.

كما أن هناك عاملاً اقتصادياً للاستشراق يختاره كثير من المثقفين كمهنة ناجحة ، وكثير من أصحاب المكتبات التجارية ونَشَرتها يشجعون نشر المؤلفات والكتب التي تدور حول الإسلاميات والشرقيات ويشرفون على نشرها لما يرون لها من سوق كبيرة في أوربة وآسيا ، وتنال هذه المؤلفات من القبول والإعجاب ما يجعلها عظيمة الانتشار ، كثيرة الذيوع ، وهي لا شك وسيلة لتجارة رابحة وكسب أموال خطيرة.

غير أن عدداً من المثقفين يختارون موضوع الشرقيات الإسلاميات دون تأثير هذه العوامل ، بمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم ، ويبذلون فيه جهوداً ضخمة ، يكون من التعسف والتقصير أن لا ينطلق اللسان بمدحها والثناء عليها ، وبفضل جهودهم برز كثير من نوادر العلم والمعارف التي كانت مخفية عن الأنظار إلى حيز الوجود ، وأصبحت مصونة من الورثة الجاهلين وعاهة الأرضة ، وكم من مصادر علمية ووثائق تاريخية لها مكانتها وقيمتها صدرت لأول مرة بفضل جهودهم وهمتهم ، وقرت بها عيون العلماء في الشرق.

ورغم هذا الاعتراف بفضلهم وعلمهم لا يخوفني شيء من أن أصرح أن هذه هي الطائفة من العلماء التي لم يرافقها التوفيق الإلهي على ما درسته من علوم القرآن والسنة والسيرة النبوية والفقه الإسلامي والأخلاق والتصوف ، وتعمَّقت فيها ، ولكنها لم تزل صفرة اليد ، فارغة عن كل مفهوم من مفاهيم العلم واليقين ، بل زادت الفجوة بينها وبين هذه العلوم لما أضمرته في قلبها من عداوة للإسلام وبعد عن الحق ، وأكبر سبب لذلك هو أن ثمرة الأعمال تابعة لغايتها وهدفها ، والمعلوم أن غاية هؤلاء المستشرقين بوجه عام إنما هي البحث عن مواضع الضعف وإبرازها لأجل غاية سياسية أو دينية ، فلا يرون في مدينة ذات بهجة إلا المزابل والمراحيض ، كما هو دأب مفتشي النظافة في كل مكان.

وليس حرمان هؤلاء المستشرقين محدوداً إلى ذواتهم فحسب ، ولو كان ذلك وحده لم نُلْقِ إليه بالاً ، ولم نبحث فيه أبداً ، ولكن الناحية المهمة ذات التأثير العميق لهذه القضية هي أن المستشرقين يركزون كل جهودهم ومساعيهم على تعريف مواضع الضعف وتمثيلها بصورة غير ملائمة ، إنهم ينظرون إليها عن طريق الآلة المكبرة ، ويهيئوون لقرائهم فرصة النظر إليها عن نفس ذلك الطريق ، ومن عادتهم أن يهوِّلوا الذرة ويعرضوها في صورة جبل عظيم ، وقد بلغوا في تشويه صورة الإسلام مبلغ الحذاقة والدقة والمصابرة والمثابرة ما لا يوجد له نظير.

ومن دأبهم أن يُعيِّنوا لهم غاية ويقرروا في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق ، ثم يقوموا لها بجمع معلومات من كل رطب ويابس لها أي علاقة بالموضوع ، سواء من الديانة والتاريخ والأدب والشعر والرواية ، (مهما كانت تلك المعلومات ضعيفة لا قيمة لها من حيث الصحة والاستناد) ويقدمونها بعد التمويه بكل جراءة ووقاحة ، ويبنون عليها نظرية لا يكون لها كيان اجتماعي إلا في نفوسهم فقط.

إنهم في أغلب الأحيان يذكرون عيباً واحداً ويجودون لتمكينه في النفوس بذكر عشرة محاسن ، وذلك كي يخضع القارىء أمام سعة نظرهم وخلقهم الجميل وسلوكهم النادر ويقبل ذلك العيب الواحد الذي يكفي لطمس جميع المحاسن ، إنهم يصورون بيئة دعوة أو شخصية ، وتاريخهما ، وعواملهما الطبعية بأسلوب جذاب علمي ـ مهما كان ذلك تصويراً خيالياً ـ يستسيغه العقل ويعتقد تلك الدعوة أو الشخصية رد فعل طبعي أو ثمرة طبعية لتلك البيئة ، وينكر اتصاله بمصدر غير مادي ولا يعترف له بقداسة وعظمة ، وكثير من هؤلاء المستشرقين يدسون في كتاباتهم مقداراً صالحاً من «السم» ويعتنون

به عناية بالغة حتى لا يزيد من النسبة المعينة لديهم ، فيشتد تأثيره وينفر القارىء أو يسوء ظنه به. إن كتابات هؤلاء أشد خطراً على القارىء ، ويصعب على رجل متوسط في عقليته أن يتخلص منها دون قبول تأثير ، مهما كان ضعيفاً.

لقد قام المستشرقون بعملية التحقيق في كل موضوع من مواضيع الكتاب والسنة والسيرة النبوية والفقه والكلام ، كما تحدثوا عن الصحابة الكرام والتابعين والأئمة المجتهدين ، والمحدثين والفقهاء ، والمشايخ والصوفية ، ورواة الحديث ، وعن فن الجرح والتعديل ، وأسماء الرجال ، وحجية السنة ، وتدوينها ، ومصادر الفقه الإسلامي وتقديمه بما لا يخلو من التشكيك والإزاغة ويكفي لزعزعة العقيدة والترغيب عن الإسلام لرجل ذكي ليس له نظر عميق في هذا الموضوع ، ولسنا الآن بصدد استعراض علمي ، وإيضاح تحريفاتهم وأخطائهم الفنية ودجلهم وتلبيسهم ، فإنه لا شك موضوع علمي مهم ، وخدمة دينية عظيمة ، تحتاج إلى مجمع علمي منظم.

ويكفي أن نقدم الآن ملخصاً لدعوتهم وتربيتهم ـ بغاية إيجاز ـ التي يعرضونها على قرائهم المثقفين ، والشباب الناهض مراراً وتكراراً بعناوين مختلفة ، وتسيغها عقول هؤلاء الشباب كحقيقة بديهية معقولة ، ولما أن هذه الدعوة والتربية لها علاقة قريبة بحركات الإصلاح والتجديد في الأقطار الإسلامية ، ولا يمكن فهمها والاطلاع على حقيقتها بدون ذلك ، نقدم في هذه المناسبة ذلك الملخص مقتطفاً من كتاب العالم المصري الدكتور محمد البهي الذي جمعه في كتابه «الفكر الإسلامي الحديث» يقول:

١ ـ إن المجتمع الإسلامي ، في صلته بالإسلام لم يكن على نحو قوي إلا في فترة قصيرة ، هي الفترة الأولى على عهد بدائية المجتمع الإسلامي ، وبدائية هذا المجتمع هي التي أوجدت نوعاً من التلاؤم بين الحياة فيه وتعاليم الإسلام ، ثم بعد مضي هذه الفترة القصيرة البدائية اتسعت الفجوة

بين الطرفين ، بين المجتمع والإسلام ، كمصدر توجيه في الحياة ، وكلما تطورت الحياة للمجتمع الإسلامي بفعل العوامل الخارجية ، الثقافية والسياسية ، والاقتصادية ، كلما تخلف الإسلام عن أن يجاري تطور الحياة لهذا المجتمع ، وما زالت الفجوة تتسع حتى أعلنت تركية الحديثة ـ مقر آخر خلافة إسلامية ـ إبعاد الإسلام عن مجال الحياة العامة ، وتركه في ضمير الفرد مستوراً ، لا يعبر عنه الفرد إلا لنفسه فقط ، وفي غير إعلان أو حماس.

٢ ـ إن التخلف عن تنفيذ تعاليم الإسلام ، تمليه الضرورة الاجتماعية تحت ضغط ظروف الحياة المتجددة التي لم يستطع الإسلام أن يكيِّفها في ضوء تعاليمه ، ولم يستطع أن يلائم بين تعاليمه وبينها ، والتشدد في تطبيق تعاليم الإسلام معناه إذاً: العزلة في الحياة ، والتخلف في استخدام وسائل الحضارة ، والترحيب بالفقر ، والمرض والجهل ، للسكان المسلمين على نحو ما هو الحال ببلاد المملكة العربية السعودية إذ هي البلد الوحيد بين بلاد الإسلام التي جعلت الحكومة الرسمية تعبيراً عملياً عن الإسلام ، وإذاً هي النموذج في تطبيق الإسلام.

٣ ـ إن التطور ، وهو قانون الحياة العام الذي لا مفر من الخضوع له ، يجب أن يستخدمه المسلمون في إسلامهم ، ليسايروا العالم الغربي الحديث ، ولينجوا من أسباب الضعف والفساد ويجب لهذا أن يتطوروا بالإسلام نفسه كدين.

الجماعة الإسلامية ـ كي تتطور ـ يجب أن تسير وفق المثل الغربية وتتفاعل معها في بيئتها الشرقية ، إذ اتجاهات الغربيين في الفكر ، وفي الحياة ، قامت على مجموعة من التجارب الإنسانية ، واستخدموا في تكوينها الطريقة «العلمية» وهي الطريقة التي لا تتأثر بخرافة أو عقيدة خاصة ، مستهدفة خير الإنسانية وحدها.

وقد شعر المستشرقون بعد تجربة طويلة امتدت نحو قرنين أن الطريقة التي مارسوها في تطوير عقلية المسلمين وتسييرها وفق المثل الغربية والاتجاهات المادية لم تنجح حق النجاح ، وعثروا على الخطأ الأساسي الذي سبب لهم بعض الفشل ، وجعل جهودهم لم تثمر كل الإثمار ، بل وقد واجهت بعض الأحيان رد فعل عنيف من الأوساط الإسلامية كان خطراً كبيراً من وجهة نظر الدعوة التبشيرية ، فما زالوا يتفقدون جهودهم ونتائجها وتأثيرها في ضوء الحقيقة حتى وصلوا إلى نتيجة أن يحدثوا في طريقتهم وأساليب دعوتهم تغييراً أساسياً ، وذلك بأن يعرضوا للإسلام تعبيرات جديدة وينشئوا حركة إصلاح الديانة بدلاً من أن يغيِّروا عقلية المسلمين ويقوموا بتطويرها ، وأن تنال جميع حركات التجديد وإصلاح الديانة حيثما وجدت تشجيعاً وتأييداً منهم .

ويدل على هذا التغيير في العقلية ، والطريقة الجديدة التي ابتكروها العبارة التالية التي نقتطفها من كتاب (Towards Understanding Islam) للكاتب Harry Gaylord Dorman) يقول :

«الحركات الإصلاحية عبارة عن الجهود المخلصة التي تبذل في شرح التعاليم الدينية من جديد في ضوء التجارب الحاضرة ، أو هي محاولة لفهم التجارب الجديدة في ضوء التعاليم الدينية ، ولذلك فإن لها أهمية كبرى أن لا يستغني عنها مبشر المسيحية في أي حال من الأحوال ، وذلك لا يعني أن كل حركة جديدة يحدثها بعض المجانين تستحق أن تدرس بجد وعمق ، وأعني بذلك الحركات التي تشرح العاطفة الدينية للحياة الحاضرة ، وهو تحول التفسير الروحي للتجارب اليومية العادية ، إنها حركات لا تزال تنتشر وتتحارب فيها القوى الروحية مع الحقائق التي لا مفر منها .

ويمكن أن تكون هناك حركة إصلاحية من بين تلك الحركات تساعد المسلمين في تعريف شخصية سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام إليهم ، كما

يتوقع من المبشرين في الأقطار الإسلامية في ظرف عدة أعوام أن تثمر جهودهم في تجديد الإسلام وتطويره أكثر من تطوير عقلية المسلمين وتغييرهم ، ومما لا شك فيه أن هذا مجال واسع مفتوح للعمل لا يغفل عنه في أي حال ، وذلك ما يبدو جعلهم يرحبون بإيجاد جو التعاون بين المسلمين والمسيحيين.

ولو تأملنا قليلاً لرأينا أن حملة لواء الإصلاح والتقدم (قادة التجديد والتغريب) الذين نشؤوا في العالم الإسلامي في ظرف نصف قرن مضى تتجلى في أفكارهم وآرائهم وأساليب حياتهم روح هؤلاء المستشرقين ودعوتهم وتربيتهم ، حتى نستطيع القول بأن أفكار المستشرقين إنما هي أساس تفكير هؤلاء القادة ومبدأ عملهم.

إن هؤلاء المستشرقين إنما أضعفوا مُثُلَ الإسلام ، وقيمه العليا في جانب ، وأثبتوا تفوق المثل الغربية وعظمتها في جانب آخر ، إنهم شرحوا الإسلام بما تفقد فيه المثل العليا للإسلام قيمتها ، وتضعف به علاقة المسلم المثقف بالدين ويقع فريسة للارتياب والشك بالإسلام ، أو يضطر إلى الاعتراف بأن الإسلام لا يتفق وطبيعة الحياة الحاضرة وإنما هو عاجز عن مسايرة حاجات العصر ومقتضياته ، وبينما يقول هؤلاء المستشرقون: إن من التقاليد البالية والرجعية أن يلح الإنسان على العمل بمبدأ الإسلام وقانونه ، في عصر قد بلغ من التطور والتقدم إلى درجة عالية وحياة تغير اليوم مفهومها ومعناها وبقولهم يدعون الناس إلى نبش الحضارات العتيقة الغارقة في التاريخ القديم ، وإحياء اللغات البالية التي فقدت كل صلاحيتها للبقاء ودفنت تحت أنقاض الماضي السحيق منذ آلاف السنين ، ولم يكن الغرض بمثل هذه البرامج إلا أن يضطرب حبل المجتمع الإسلامي وتتمزق وحدة الإسلام ، وتواجه الحضارة الإسلامية واللغة العربية ضرراً ، وتنال الجاهلية القديمة حياة من جديد ، وقد نجحت كتاباتهم وجهودهم في إنشاء طائفة من تلاميذهم الذين قاموا بحركة إحياء الحضارة الفرعونية

ولغتها في مصر ، والحضارة الآشورية ولغتها في العراق ، والبربرية في إفريقية الشمالية والفينيقية في سواحل فلسطين ولبنان ، ووجد لهم دعاة وأتباع.

أولئك هم المستشرقون وتلاميذهم الذين بدؤوا يقولون بكل قوة: إن لغة القرآن العربية الفصحى إنما هي لا تساير حاجات العصر ، فيجب أن تعم اللغة العامية حتى تصبح لغة الجرائد والمؤلفات ، وقد تكررت منهم هذه الدعوة بصورة جميلة خلابة كسبت تأييد المثقفين في مصر وأوقفتهم بجانبها ، ولو نجحت هذه الدعوة لأنتجت توزع اللغة العربية بين لغات شتى ، وانقطاع صلة العرب عن القرآن والأدب الإسلامي ، وسببت للغة العربية أن تصبح لغة غريبة لهم ، وتفقد مكانتها الدولية ، ويحرم العرب كلهم تراثهم الديني وروحه فيقعوا فريسة الإلحاد والردة والخلافات والاضطرابات بكل سهولة.

كما أنهم دعوا إلى اتخاذ الخط اللاتيني (Roman Character) مكان الخط العربي ، وأثبت تلاميذهم ضرورته من حين لآخر ، وجهروا بذكر فوائده وفضله ، والمعلوم أن ذلك لا ينتج إلاَّ حرمان الأمة العربية وجهلها بقراءة القرآن على وجه صحيح ، وفقدان التراث العلمي ـ الذي لا يوجد له نظير في سعته ـ قيمته وأهميته.

ونستطيع أن نعرف هدف المستشرقين ومدى أفكارهم ودقة نظرهم في تحقيق غرضهم وعداءهم السافر للإسلام بهذه الاقتراحات والتوصيات الآنفة الذكر ، وإن مؤلفات أغلبية هؤلاء المستشرقين تستأصل أسس الإسلام وتشكك في مصادره بما فيه الفقه والحديث ، وتحدث جو الاضطراب الفكري والارتياب في المجتمع الإسلامي ، وتبذر في القلوب بذور الشك والريبة نحو تفقه حملة الإسلام وذكائهم (الفقهاء والمحدثون) وقد تحمل مؤلفاتهم من الأخطاء العلمية الفاحشة وسوء الفهم ، وعدم الاطلاع على

اللغة وقواعدها ومن التحريف والتزوير ما يتندى له الجبين حياءً ، ولكن أكثر مؤلفاتهم نالت قبولاً عاماً في الشرق والغرب ، وأثارت استغراباً في الطبقة المثقفة الحديثة (وفيها عدد من المثقفين المعمرين) بحسن ترتيبها ، وأساليب استدلالها ، واستنباط نتائجها ، وطريقة عرضها العلمي ، وهي طبقة لا تشفي غليلها مؤلفات علماء الشرق الأقحاح.

ولكي نعرف المكانة التي يحتلها علماء الغرب والثقة التي ينالونها في الشرق يجب أن نعلم أن المجامع العلمية الثلاثة في الشرق الأوسط ، أعني: المجمع اللغوي في مصر ، والمجمع العلمي العربي في دمشق ، والمجمع اللغوي العراقي في بغداد لكل ذلك عدد وجيه من الأعضاء المستشرقين الذين يستفاد من آرائهم ودراستهم.

ومما يدل على ضعف العالم الإسلامي والعربي وفقر وسائلهما العلمية أن هذين العالمين كليهما يعتمدان على مؤلفات المستشرقين في المواضيع الإسلامية الخالصة منذ زمن بعيد ، وهي مؤلفات تحتل مكانة «الكتاب المقدس» (Gospel) في موضوعها ، فإن كتاب ر ـ الف ، نكلسن (R.A.Nichollson) في موضوع تاريخ آداب العرب (A.Literary History) وكتاب الدكتور حتي (Dr.H.P.Hitti) عن تاريخ العرب والإسلام (History of Arabs) وكتاب كارل بروكلمان (Carl Brock Lemann) في تاريخ الآداب الإسلامية ، (Ceschichtirder Arabic Literature) باللغة الألمانية وترجمتها إلى الإنجليزية باسم (The History Of Arab Literature) وكتاب شاخت (Schacht) في الفقه الإسلامي باسم (The Oregins Of Mohammadans Jurisprudence).

كل ذلك مما ينفرد في موضوعه ، ويعد مصدراً علمياً له أهميته وقيمته بجامعات الشرق في قسميها العربي والإسلامي.

إن «دائرة المعارف الإسلامية» التي ألفها المستشرقون (ولو كان فيها

لبعض المسلمين إسهام ضئيل) وصدرت منها طبعات متعددة في أوربة وأمريكا، تعد أكبر مصدر للمعلومات والحقائق الإسلامية وأثمن ذخيرة لها، وتعتبرها بعض الدول المسلمة اليوم (كمصر وباكستان) أساساً للمعلومات الإسلامية وتقوم بترجمتها إلى العربية والأردوية.

ولسد تأثير المستشرقين الهدام، وإصلاح هذا الفساد يجب أن يقوم علماء الإسلام من أصحاب البحث والتفكير بالكتابة حول الموضوعات العلمية، ويعرضوا على العالم الإسلامي المعلومات الإسلامية المؤكدة، ووجهة نظر الإسلام الصحيحة، مع مراعاة تلك الخصائص المحمودة التي توجد في المستشرقين بل والزيادة فيها، كما يجب أن تكون كتاباتهم ومؤلفاتهم ممتازة من حيث أصالة التحقيق، وسعة الدراسة، وعمق النظر وتأكد المصادر وصحتها، واستدلالها القوي بالنسبة لكتابات المستشرقين ومؤلفاتهم، وأن تكون حاملة لجميع نواحي الاستحسان بعيدةً عن الأخطاء والنقائص العلمية.

وما يجب أيضاً هو أن يقوم هؤلاء العلماء المفكرون باستعراض مؤلفات المستشرقين العلمي ومحاسبتها في ضوء الحقيقة والواقع، حتى ينكشف الغطاء عن تلبيساتهم، وأخطائهم في فهم المتون وبيان المعنى، ويبدو للناس ضعف مصادرهم التي يعتمدون عليها وأخطاء النتائج التي يستنبطونها منها، ويطلعوا على ما يضمرون في نفوسهم من عداء للإسلام وما يكنونه من أغراض سياسية ودينية في خفايا دعوتهم وتربيتهم، وكل ذلك مؤامرة على الإسلام والأمة الإسلامية يجب إحباطها.

أما بدون هذا العمل الإيجابي الذي يقتضي تأليف كتب تحليلية، وأبحاث عميقة حول المواضيع الإسلامية، وبغير القيام بالعمل السلبي (بالمحاسبة العلمية) فلا تتحرر الطبقة المثقفة في العالم الإسلامي من تأثير أفكار المستشرقين المسمومة، تلك الطبقة التي تعد من أذكى الطبقات في

العالم الإسلامي وأكثرها طموحاً ، والتي تدرس في جامعات أوربة وأمريكا الكبرى أو في جامعات بلاده ، وتحب دراسة الإسلام بلغة الغرب التي تتقنها. وما لم تتحرر هذه الطبقة المثقفة التي ترزح تحت تأثير أفكار الغرب وعلمائه من تأثيرهم تواجه الأقطار الإسلامية عاصفة الاضطرابات العقلية ، والردة الفكرية ، ويجهر حملة لواء التجديد والتغريب بأفكارهم وآرائهم ، حتى إذا تمت لهم سلطة سياسية حاولوا تطبيق كل ما ينافي روح الإسلام على المجتمع وتنفيذه في الحكم ، ويشكلون بذلك مجتمعاً يشبه المجتمع الإسلامي القديم في الجنس والقوم فحسب ، ولكنه يتجه نحو الغرب والمادية في الحقيقة والواقع ، ويصح عند ذاك أن يخاطب قادة العالم الإسلامي وعلماؤه بهذا البيت الفارسي الذي معناه:

مهلاً أيها الأعرابي فإن الطريق الذي اخترته يذهب بك إلى التركستان ، وأنت تريد الكعبة!

* * *

الإسلاميّات
بَين المُستشرقينَ والباحِثين المُسلِمين

تعاليم الإسلام في الحكم بالعدل وإقامة الوزن بالقسط:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

أما بعد:

فإن من أصعب العمليات وأشقها على المشتغلين بالتأليف والبحث والتحقيق الذين يعرفون قيمة العلم ومدى عناء المؤلف والباحث في تأليفه وبحثه، وإجهاده للنفس، واستنفاده لطاقته ومجهوده في إخراج الكتاب في أتم شكل، والوصول إلى نتائج علمية ثابتة، هو الحكم على طبقة أو جماعة علمية حكماً قاسياً جائراً، وغمط الحق معهم، والطمس على محاسنهم إطلاقاً، وقياسهم بمقياس واحد.

ومن المعلوم أن طبقة العلماء والباحثين الحقيقيين قديماً وحديثاً، امتازوا من بين طبقات المشتغلين بصناعة واحدة، والمشاركين في فن واحد، برحابة الصدر وسعة النظر وسلامة القلب، والاعتراف بالفضل، والاستفادة من مجهود الأولين بل المعاصرين، بل من كان دونهم في السن والطبقة، وطول الممارسة لصناعة التأليف والبحث، وإن أكثر ما تتنافى هذه القسوة ونكران الجميل، وجحد الحق والفضل، تتنافى مع تعاليم القرآن وآداب الإسلام، فالقرآن يقول:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [النساء : ٥٨].

ويقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾ [المائدة: ٨].

ويقول: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٩].

وإذا كان لا بد من نقد وتقييم لعمل علمي أو تحقيق لباحث والاختلاف عنه، أو نقضه وتزييفه، أو تبيين الخطأ فيه، فليكن ذلك في أسلوب علمي، ونقد نزيه، وبنسبة عادلة معقولة، فالضرورات ـ كما يقول فقهاء الإسلام ـ تقدر بقدرها.

اعتراف ببعض جهود المستشرقين العلمية الموضوعية:

لذلك اعترف بكل وضوح وصراحة أن عدداً من المستشرقين كرسوا حياتهم وطاقاتهم على دراسة العلوم الإسلامية، وتبنوا موضوع الشرقيات والإسلاميات بدون تأثير عوامل سياسية واقتصادية أو دينية، بل لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم، وبذلوا فيه جهوداً ضخمة، ويكون من المكابرة والتقصير أن لا ينطلق اللسان بمدحها والثناء عليها، وبفضل جهودهم برز كثير من نوادر العلم والمعارف التي لم تر ضوء الشمس منذ قرون، إلى النشر والإذاعة، وأصبحت مصونة من الورثة الجاهلين، وعاهة الأَرَضة، وكم من مصادر علمية ووثائق تاريخية، لها مكانتها وقيمتها، صدرت لأول مرة بفضل جهودهم وهمتهم وقرت بها عيون العلماء في الشرق.

يجدر بالذكر منهم ـ على سبيل المثال ومن غير استيعاب ـ البروفيسور ت ـ و ـ آرنلد T. W. Arnold صاحب الكتاب القيم The Preaching of Islam (الدعوة إلى الإسلام) واستانلي لين بول Stanley Lan - poole صاحب كتاب Saladin (صلاح الدين الأيوبي) وMoors in Spain (العرب في الأندلس)

والدكتور اشبرنجر Dr. Aloys Sprenger صاحب المقدمة الإنجليزية النفيسة لكتاب «الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني» طبع المجمع الآسيوي الملكي بكلكته ، وادوارد لين (Edward William Lane) صاحب المعجم الكبير المنسوب إليه المعروف بـ(Arabic - English Lexicon) لشرح المواد العربية باللغة الإنكليزية ، شرحاً موسعاً يعتمد عليه ، ويستفيد منه كثير من علماء اللغة العربية والنحو ، طبعت ثلاثة من أجزائه التسعة بعد وفاته ، وا. ي. ونسنك (A.J. - Wensinck) صاحب المعجم المفهرس العام التفصيلي الذي وضع للكشف عن الأحاديث النبوية الشريفة المدونة في كتب الأئمة الأربعة عشر الشهيرة وكتب السيرة والمغازي المشهورة[١] ، ورتب كتابه على المعاني والمسائل العلمية والأعلام التاريخية ورتب عناوين الكتاب على حروف المعجم ، وقد نقل هذا الكتاب إلى العربية الأستاذ فؤاد عبد الباقي وسماه «مفتاح كنوز السنة» وقدم له العلامة السيد رشيد رضا والعلامة أحمد محمد شاكر.

وأشرف الأستاذ ونسنك كذلك على ترتيب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي[٢] الذي رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ، ونشره الدكتور في سنة ١٩٣٦ م ، والاستفادة منه سهلة ميسورة جداً، وقد جاء هذا الكتاب في سبعة مجلدات كبار.

و ج. ب. استرنج (G. B. Strenge) صاحب كتاب (Lands of The Eastern Caliphate) جغرافية الخلافة الشرقية.

وكلها مؤلفات وبحوث[٣] تدل على عناء المؤلفين ودراساتهم المضنية

---

(١) ليرجع إلى أسمائهم وأسماء الكتب وطريق المؤلف في التأليف في مقدمات الكتاب.

(٢) وهي التي وردت في الكتب الستة ، ومسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل.

(٣) اقتصر العلامة الندوي على مؤلفات المستشرقين بالإنجليزية التي خلت ـ بصفة عامة ـ من طعن في الإسلام وصاحب رسالته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتحريف للحقائق ، ولم =

المخلصة للموضوع، المتجردة ـ في أغلب الأحوال ـ عن العصبية الدينية ومجانبة الحق.

تصيُّد مواضع الضعف والعورات في كتابات كثير من المستشرقين:

ورغم هذا الاعتراف بفضلهم وعلمهم لا يمنعني شيء من أن أصرح بأن طائفة كبيرة من المستشرقين كان دأبها البحث عن مواضع الضعف في الشريعة الإسلامية، والحضارة والتاريخ الإسلامي، وإبرازها لأجل غاية سياسية أو دينية، فكان شأنهم في ذلك شأن من لا يرى في مدينة ذات بهجة ونضارة، ونظام ونظافة، إلا مزابل ومراحيض ومستنقعات، كما هو دأب مفتش الأوساخ والمياه المصرفة (Drain Inspector) في البلديات وأمانات العواصم، فيرفع بذلك تقريراً إلى الجهات المختصة لا يجد فيه القارىء ـ بطبيعة الحال ـ إلا الحديث عن العفونات والأوساخ.

فنرى كثيراً من المستشرقين يركزون كل جهودهم ومساعيهم على تعريف مواضع الضعف في تاريخ الإسلام ومجتمعه ومدنيته، حتى في ديانته وشريعته، وتمثيلها في صورة مروعة مضخَّمة، إنهم ينظرون إليه عن طريق «المجهر» (Microscope) ويعرضونها كذلك للقراء حتى يروا الذرة جبلاً، والنقطة بحراً، وقد ظهرت حذاقتهم وذكاؤهم في كثير من الكتابات في تشويه صورة الإسلام، ويثيرون بذلك في قلوب قادة العالم الإسلامي اليوم وزعمائه ـ ممن تثقفوا في مراكز الغرب الثقافية الكبرى، أو درسوا الإسلام بلغات الغرب ـ شبهات حول الإسلام والمصادر الإسلامية، ويحدثون في نفوسهم يأساً عن مستقبل الإسلام، ومقتاً على حاضره، وسوء ظن بماضيه، حتى يتركز نشاطهم وحماسهم في رفع هتاف «تطوير الدين» و«إصلاح القانون الإسلامي».

= يتعرض للكتب المؤلفة في غيرها من اللغات الأوربية ـ كالفرنسية والألمانية والهولندية ـ لعدم معرفته بها معرفة شخصية.

«الاستراتيجية» الاستشراقية الدقيقة:

ومن دأب كثير من المستشرقين أنهم يعينون لهم غاية ويقررون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم يقومون لها بجمع معلومات ـ من كل رطب ويابس ـ ليس لها أي علاقة بالموضوع، سواء من كتب الديانة والتاريخ، أو الأدب والشعر، أو الرواية والقصص، أو المجون والفكاهة، وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها، ويقدمونها بعد التمويه بكل جراءة، ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا في نفوسهم وأذهانهم.

إنهم في أغلب الأحيان يذكرون عيباً واحداً، ويجودون لتمكينه في النفوس، بذكر عشرة محاسن ليست لها أهمية كبيرة، وذلك كي يقف القارىء خاشعاً مؤدباً أمام سعة قلوبهم وسماحتهم، ويسيغ ذلك العيب الواحد الذي يكفي لطمس جميع المحاسن، إنهم يصورون بيئة دعوة أو شخصية وتاريخهما وعواملهما الطبيعية بلباقة وبلاغة، تصوران أن هذه الدعوة والشخصية لم تكونا إلا نتاج هذه البيئة أو العوامل ورد فعلها الطبيعي، وكأن البركان كان متهيئاً للانفجار، فتناولته هذه الشخصية بشرارة فانفجر، فينكر القارىء أي اتصال بمصدر غير مادي، ولا يعترف لهذه الشخصية أو الدعوة بعظمة، أو تأييد إلهي، أو إرادة غيبية[١].

وكثير من هؤلاء المستشرقين يدسون في كتاباتهم مقداراً خاصاً من «السم» ويحترسون في ذلك، فلا يزيد على النسبة المعينة لديهم، حتى لا يستوحش القارىء ولا يثير ذلك فيه الحذر، ولا يضعف ثقته بنزاهة المؤلف، إن كتابات هؤلاء أشد خطراً على القارىء من كتابات المؤلفين الذين يكاشفون العداء، ويشحنون كتبهم بالكذب والافتراء، ويصعب على رجل متوسط في عقليته أن يخرج منها، أو ينتهي في قراءتها دون الخضوع لها.

---

(١) وهذا كان شأنهم في تصوير العصر الجاهلي، والجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية.

اعتماد الأوساط العلمية والجامعات الشرقية على كتب المستشرقين:

وما يدل على ضعف العالم الإسلامي والعربي وفقر وسائلهما العلمية، أن هذين العالمين كليهما يعتمدان على مؤلفات المستشرقين في المواضيع الإسلامية الخالصة، منذ زمن بعيد، وهي مؤلفات تحتل مكانة «الكتاب المقدس» (Gospel) في موضوعها، فإن كتاب ر. ا. نكلسن (R. A. Nicholon) في موضوع تاريخ آداب العرب (A Literary History Of Arabs) وكتاب الدكتور حتي (Dr p. Hitti) عن تاريخ العرب والإسلام (History of Arabs) وكتاب كارل بروكلمان (Carl Brocklemann) في تاريخ الآداب العربية (Cescht Irder Arabichen Literature) باللغة الألمانية وترجمتها إلى الإنجليزية باسم (of Arab Literatue The History) وكتاب جولد تسيهر (Goldziher) في العقيدة والشريعة في الإسلام (Introduction to Islamic Theology and law) وكتابه «دراسات إسلامية» (Muhammedanische Studies Halle) وكتاب شاخت (Schacht) في مصادر الفقه الإسلامي باسم (The Origins of Mohammadans Jurisprudence) وكتاب و ـ س اسمث (W.C.Smith) في الإسلام المعاصر واتجاهاته وحركاته، (Islam In Modern History) وكتاب (A.R.Cibb) (Whither Islam) (وجهة الإسلام) وكتب مونتجمري وات (Montgomery Watt) في السيرة النبوية (Mohammad in Mecca) محمد في مكة (Mohammad in Madina) محمد في المدينة، و(Mohammad, prophet and Statesman) (محمد كنبي وقائد سياسي).

كل ذلك يخيل إليهم أنه مما ينفرد في موضوعه، ويعد مصدراً علمياً له أهميته وقيمته لجامعات الشرق في قسميها العربي والإسلامي، وعليه أكبر اعتماد المؤلفين في قسم الدراسات الإسلامية Islamic Studies Department في الجامعات.

إن «دائرة المعارف الإسلامية» (Encyclopaedia of Islam) التي ألفها

المستشرقون (ولو كان فيها لبعض المسلمين إسهام ضئيل) وصدرت منها طبعات متعددة تعد أكبر مصدر للمعلومات والحقائق الإسلامية ، وأثمن ذخيرة لها ، وتعتبرها بعض البلاد الإسلامية اليوم أساساً للمعلومات الإسلامية ، وتقوم بترجمتها إلى لغاتها بنصها وفصها ، وكان المتوقع المأمول منها أن تضع موسوعات إسلامية أصيلة بقلم الباحثين المسلمين أصحاب الاختصاص في الموضوعات الإسلامية[١] .

لا بد من الاكتفاء الذاتي في البحث والتأليف :

ولسد تأثير المستشرقين السلبي وإصلاح هذا الفساد يجب أن يقوم علماء الإسلام ورجال البحث والتفكير بالكتابة حول الموضوعات العلمية ، ويقدموا للعالم الإسلامي المعلومات الإسلامية المؤكدة ، ووجهة نظر الإسلام الصحيحة ، مع مراعاة الجوانب المحمودة التي يمتاز بها المستشرقون بل والزيادة فيها ، كما يجب أن تكون كتاباتهم ومؤلفاتهم ممتازة من حيث أصالة التحقيق وسعة الدراسة وعمق النظر ، وتأكد المصادر وصحتها ، واستدلالها القوي ، بالنسبة لكتابات المستشرقين ومؤلفاتهم ، وأن تكون حاملة لجميع نواحي الإتقان والصحة ، بعيدة عن الأخطاء والنقائص العلمية .

محاسبة كتابات المستشرقين العلمية :

ومما يجب أيضاً هو أن يقوم هؤلاء العلماء المفكرون باستعراض مؤلفات المستشرقين العلمية ومحاسبتها في ضوء الحقيقة والواقع حتى ينكشف الغطاء عن تلبيساتهم ، وأخطائهم في فهم النصوص ، وبيان المعنى ، ويبدو للناس ضعف مصادرهم التي يعتمدون عليها ، وأخطاء النتائج التي يستنبطونها

---

(١) مما يجب الاعتراف به أن عمل جامعة بنجاب في لاهور (باكستان) في إخراج هذه الموسوعة يتسم بكثير من الأصالة والتنقيح والحذف والزيادة ، حتى أصبح الكتاب مستقلاً له قيمته العلمية .

منها ، ويطلعوا على ما يضمر كثير منهم في نفوسهم من عداء للإسلام وما يكنونه من أغراض سياسية ودينية في خفايا دعوتهم وتربيتهم ، وكل ذلك مؤامرة على الإسلام والأمة الإسلامية ، يجب إحباطها(١) .

لا بـد من عمـل إيجابـي بَـنَّـاء:

أما بدون الجمع بين هذا العمل الإيجابي الذي يقتضي تأليف كتب تحليلية ، وأبحاث عميقة حول المواضيع الإسلامية مع الإحالة إلى المصادر بضبط وإتقان ، والفهارس المفصلة المفيدة المتنوعة (وذلك كله مما يعتبر من خصائص المستشرقين) والإفادة من مواد لم تستخدم بعد ، وكتب ومظان لا يتبادر إليها الذهن ، وليست في صميم الموضوع ولا من التاريخ «الرسمي» الذي يدور حول البلاط والأسر الحاكمة والحروب والحوادث الجسيمة ، وكل ذلك مع تحرٍّ للدقة والوجازة والبعد عن التنميق والاستطراد ، وبين العمل العلمي وهي المحاسبة العلمية في أسلوب علمي نزيه ، وكلام وقور رزين ، ولفظ موزون ، بعيد عن التهكم والتنكيت ، والتجني والافتراض ، فإن كل ذلك يفقد النقد قيمته العلمية ، ووقعه النفسي ، وبدون الجمع بين هذا وذاك لا تتحرر الطبقة المثقفة في العالم الإسلامي من تأثير أفكار المستشرقين المسمومة وسيطرتهم العلمية ، تلك الطبقة التي تعد من أذكى الطبقات في العالم الإسلامي وأكثرها طموحاً ، والتي تدرس في جامعات أوربة ، وأمريكا الكبرى ، أو في جامعات بلادها ، وتحب دراسة الإسلام بلغات الغرب التي تتقنها.

---

(١) اطلع العلامة الندوي خلال زيارته للاهور (في باكستان) في يولية ١٩٧٨ م على مشروع البروفسور ظفر علي القريشي ، في جمع ما كتبه المستشرقون عن السيرة النبوية وصاحبها عليه الصلاة والسلام ، ونقدها العلمي ومحاسبتها والرد عليها ، وقد أعد الأستاذ ظفر علي بحثاً قيماً في هذا الموضوع في اللغة الإنجليزية يمتد على آلاف الصفحات ، وقد أعجب المؤلف بمجهوده الفردي التطوعي ومكتبته الشخصية ، وعجب من أنه لم يحظ إلى الآن بتقدير وتشجيع لائقين من حكومة إسلامية أو مؤسسة كبيرة.

والفراغ في ناحية من نواحي الحياة البشرية وحاجاتها لا يبقى طويلاً ، وهو مخالف لسنة الله في خلقه والفطرة البشرية ، فيسد ذو الحاجة حاجته بشيء سقيم إذا لم يجد شيئاً سليماً ، وما لم تتحرر هذه الطبقة المثقفة ـ التي ترزح تحت تأثير أفكار الغرب وعلمائه ـ من سيطرتهم ، لا تزال الأقطار الإسلامية تواجه عاصفة الاضطرابات العقلية ، والردة الفكرية ، وتتبنى حملة التجديد والتغريب أفكارهم وآراءهم ، حتى إذا تمت لهم سلطة سياسية ، حاولوا تطبيق كل ما ينافي روح الإسلام على المجتمع ، وتنفيذه في الحكم ، ويشكلون بذلك مجتمعاً لا يشبه المجتمع الإسلامي القديم إلا في الجنسية والقومية ، ولكنه مجتمع أجنبي يتجه نحو الغرب والمادية في الحقيقة والواقع ، ويصح عند ذاك أن يخاطب قادة العالم الإسلامي وعلماؤه بالبيت الفارسي الذي معناه: مهلاً أيها الأعرابي؛ فإن الطريق الذي اخترته يذهب بك إلى تركستان ، وأنت تريد الكعبة! .

استعراض إجمالي للعمل الإسلامي في مجال البحث والتحقيق في العالم الإسلامي في العصر الحاضر:

فهل تحقق هذا الأمل؟ وهل قام الباحثون الإسلاميون والكتاب المسلمون باللغات الأوربية ذات النفوذ العالمي ، بدورهم وواجبهم في هذا الاتجاه؟ إنه يحتاج إلى استعراض أمين محايد ولو إجمالياً ، حتى نعرف الأشواط التي قطعناها ، وبرأنا به ذمة الله وذمة الإسلام ، وهنا نظرة إجمالية على بعض المنجزات في هذا المجال.

لا يخفى على القارىء الخبير أن العالم الإسلامي ـ ولا سيما بلاده الأربع تركية ومصر وإيران والهند ـ اضطر أن يواجه منذ منتصف القرن التاسع عشر المسيحي ، الحضارة والثقافة ، والأفكار والفلسفات ، والمثل الغربية ، إن هذه الأوضاع وتلك الحقائق المشار إليها كانت كفيلة بوفرة الإنتاج ، وكثرة وضع الكتب عالية المستوى بأرقى اللغات الأوربية وأوسعها نطاقاً في كل

الدول والمجتمعات الإسلامية المواجهة على الأقل ، في شرح العقائد والأصول ، والقوانين والحضارة والثقافة الإسلامية ، وفي تاريخ العهود الإسلامية الذهبية ، وعهود قيادة المسلمين السياسية ونظام الحكم الإسلامي ، والاقتصاد الإسلامي ، وفلسفة الإسلام الأخلاقية ، وكانت كفيلة بأن تتخذ لهذه الأقطار اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو الهولندية[١] على الأقل وسيلة للبحث والتحقيق ، ونقد الحضارة الغربية ، وإبانة مواضع الضعف فيها ، وعرض محاسن الإسلام ، وأن يستخدم أبناؤها المسلمون الملكات الخطابية والكتابية في هذه اللغات على المستوى الكبير ، وتتكون فيها مكتبة واسعة في مدة قصيرة تمد الشباب المسلم بالثقة بالذات والآباء ، والشعور باكتفاء الإسلام الذاتي في جميع مجالات الحياة ، وترغم المفكرين الغربيين والطبقة المثقفة في أوربة وفي أمريكا ، والمستشرقين عامة على الدراسة الجادة للإسلام على الأقل - إن لم تستطع أن تبعثهم على الدخول في حظيرة الإسلام - وتحدث سيلاً جارفاً من الأبحاث الإسلامية ، والإنتاج الأدبي واللغوي ، تصطدم أمواجه القوية بجدران الجامعات الشهيرة في العالم في أوربة وأمريكا وكندا .

وكان من المتوقع أن يجعل هؤلاء البارعون في اللغات الأوربية من أبناء الإسلام جامعاتهم غنية بالمواد والأبحاث فيما يتصل بالتاريخ الإسلامي والقوانين الإسلامية ، واللغات الشرقية ، وآدابها ، ونقدها وتاريخها ، وأنهم لا يدعون الدارسين في هذه المواضيع الحساسة ، عالة على أيّ من نكولسون (Nicholson) أو براون (Browne) أو حتِّي (Hitti) في دراسة التاريخ الأدبي والسياسي والحضاري لبلاد العرب وإيران ، ولا على أي من جولدتسهير (Goldziher) أو يوسف شاخت (Schacht) فيما يتصل بدراسة الشريعة الإسلامية وتاريخ تدوين الحديث والفقه ، ولا على مارجوليوث

---

(١) هذه هي اللغات الأربع التي كثرت فيها المؤلفات والبحوث في الموضوعات الإسلامية .

(Margoliouth) في دراسة لغة القرآن الكريم وعلومها ، وآدابها وشعرها ، ولا على كارل بروكلمان[1] (Brockelmann) فيما يتعلق بالاطلاع على الحركة التأليفية والكتابية في العهد الإسلامي ، والتراث الإسلامي العلمي ، وإنتاجات المسلمين العلمية ، ومجهوداتهم القلمية. . .

إن كل ذلك لا يقف سداً منيعاً فحسب ، أمام الردة الفكرية التي تكاد تكتسح الشباب الإسلامي المثقف الذكي ، والتي كانت تنتشر في البلاد التي كانت مستعمرات غربية ، انتشار النار في الهشيم ، بل يفتح الباب على مصراعيه في أوربة لمد الدعوة الإسلامية ، وللتعرف بالإسلام ، والقرآن ، والسيرة النبوية ، وبالتالي يجذب من أراد الله به خيراً من سكان هذه الرقعة من أرض الله إلى عين الإسلام الصافية ، وحصنه المنيع.

قلة الإنتاج العلمي التحقيقي في الدول المواجهة ، في اللغات الغربية:

كل الدلائل كانت تشير إلى أنه سيبتدىء في العالم الإسلامي عهد جديد للبحث والتحقيق ، والتصنيف في المواضيع الإسلامية ، وأن اللغات الإنجليزية والفرنسوية والألمانية بصفة خاصة ، ستعود زاخرة بالمؤلفات ذات المستوى العالي التي سيؤخذ الأوربيون والأمريكان أنفسهم بعذوبة لغتها ، وجمال أسلوبها ، وقوة استدلالها ، ولباقة عرضها للمواد ، وقدرة مؤلفيها التأليفية والكتابية.

ولكن من الحقائق المؤلمة أن أبدي في هذه المناسبة التاريخية التي تجمع بين خيرة رجالات العلوم الإسلامية ، وبين النوابغ في اللغات الشرقية ونقادها ، استغرابي العلمي والتاريخي من عدم تحقق هذا الرجاء ، ذلك الذي يبعث المؤرخ الأمين الواسع الأفق ، الواسع الاطلاع ، على العجب العجاب.

---

(١) مع الاعتراف بمجهوده الكبير وقيمته العلمية والاستفادة منه.

ميزة الهند من بين الأقطار المواجهة:

وكانت الهند في طليعة دول المواجهة الإسلامية والغربية ، حيث تمكنت بريطانيا ـ أقوى ممثل للحضارة الغربية ، والعلوم والثقافة الغربية ، وأشد تحمساً لها ـ من بسط سيطرتها السياسية الكاملة على الهند منذ وقت مبكر على حين كانت بلاد أخرى تتأثر بالحضارة والثقافة الغربية عن طريق غير مباشر عن وكالاتها الأدبية والثقافية ، إضافة إلى ذلك أسس السيد أحمد خان المرحوم ـ الشخصية القوية المؤثرة ـ فعلاً بعد عام ١٨٥٧ م مؤسسة ثقافية في «علي جراه» (Aligrah) باسم «مدرسة العلوم» كان الإشراف عليها ـ عقلياً وثقافياً وخلقياً ـ بأيدي الأفاضل الإنكليز المحنكين ، أمثال المستر بيك (Mr. Beek) والمستر موريس (Mr. Morison) والمستر آرشبولد (M. Archibold) وتحولت في ١٩٢١ م إلى جامعة ، وقد جذبت إليها الشباب الذكي في شبه القارة الهندية ـ من خليج بنغال إلى مضيق خيبر ـ جذب المغناطيس القطع الحديدية.

رغم ذلك كله كان الشعب الإسلامي الهندي أرهف شعوراً دينياً[١] وأرق وعياً إسلامياً ، وأشد غيرة على الإسلام من البلاد الإسلامية الأخرى ، لأسباب لا تعنينا بهذه المناسبة ، يدل على ذلك مساهمتهم القوية بعد حركة

---

(١) ومما يدل على ذلك أنه لما ألف حاكم الولاية الشمالية في الهند ـ وهي كبرى الولايات وأرقاها ـ السير وليم ميور (Sir William Muir) كتابه الشهير بالإنجليزية (Life of Mohammad) (حياة محمد) وكان فيه تحامل على السيرة النبوية ومسخ لبعض الحقائق ، لم يتمالك السيد أحمد خان الذي كان من أكبر الدعاة إلى التعليم الحديث الغربي ، والاقتباس من الحضارة الغربية ، وكانت بينه وبين الحكم الإنجليزي ورجاله صداقة ، وثقة متبادلة ، فنهض للرد عليه ، وسافر سنة ١٢٨٦ هـ ، سنة ١٨٦٩ م إلى لندن لجمع المواد ، وباع لذلك بعض أثاثه ومتاعه ، وألف كتابه المشهور «خطبات أحمدية» الذي هو من أحسن كتبه ، ولعلها كانت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه في العالم الإسلامي ، وإن كانت خطوة بدائية تتصف بكل ما تتسم به المحاولات الأولى في البحث العلمي.

الخلافة ، وحرصهم الشديد على التمسك بحضارتهم الإسلامية العريقة وبشعائرهم الدينية ، فكان إنتاجها في هذا المجال أكثر من الإنتاج ـ في اللغات الأجنبية ـ في أقطار إسلامية أخرى ، وإن كان أقل من الواجب المطلوب.

في مجال نقد النصرانية على الأسس العلمية:

وكان من نتائج الغيرة الدينية التي يمتاز بها الشعب المسلم الهندي ومبادرته إلى قبول تحديات التبشير ـ وبالأصح التنصير ـ التي وجهت إلى شبه القارة الهندية ، بعد قيام الحكم الإنجليزي المسيحي ، المنتصر الثائر الموتور ، أن وضعت أفضل الكتب وأقواها في الرد على المسيحية ونقد العهد القديم والعهد الجديد (التوراة والإنجيل) في الهند ، فقد واجه الشعب المسلم الهندي الدعوة المسيحية وجهاً لوجه ، وخاض هذه المعركة قبل أن يواجه هذه الدعوة ويخوض هذه المعركة شعب آخر في قطر إسلامي أو عربي.

وقد قيض الله لقيادة هذه الحركة الهجومية ـ لا الدفاعية ـ خيرة رجال هيؤوا نفوسهم لهذا العمل الخطير الدقيق الذي تشاغل المسلمون عنه (العلماء والمؤلفون) قروناً لعدم توفر الدواعي وما يضطر إلى ذلك ، في مقدمتهم وعلى رأسهم العلامة المجاهد الشيخ رحمة الله الكيرانوي (١٢٣٣ ـ ١٣٠٨ هـ) وقد تهيأت عنده جميع المؤهلات العلمية والجدلية ، والوهبية ، لإنجاز هذا العمل ، إلا معرفة اللغة الإنجليزية والاطلاع على المصادر الأجنبية بطريق مباشر ، هنالك ساق الله إليه مسلماً غيوراً هو الدكتور محمد وزيرخان الأكبر آبادي الذي سافر إلى لندن سنة ١٨٣٢ م يدرس الطب الجديد ، وقد نال فيه شهادة عالية ، وأتقن اللغة الإنجليزية ، ودرس اللغة اليونانية ، وعني بدراسة المسيحية من مصادرها الأصلية واقتناء كتبها ، واستصحب هذه المكتبة الثمينة إلى الهند واستفاد بها الشيخ كل

الاستفادة ، وهنالك قرر مناظرة القس فندر (Dr, C. G. Pfander) الذي تحدى علماء المسلمين في العالم الإسلامي ، وألف كتابة «ميزان الحق» وظن أن لا قبل للمسلمين به[1] ، وقامت هذه المناظرة التاريخية في ١١/ من رجب سنة ١٢٧٠ هـ (١٠/ من أبريل ١٨٥٤ م) في أكبر آباد آكره ، إحدى مديريات الولاية الشمالية الرئيسية ، وأحد مجالات النشاط التبشيري في الهند ، وفي حي من أحيائها المعروف بحارة «عبد المسيح»[2] وحضرها ولاة المديرية ، وموظفو الثكنة الإنجليزية من الإنجليز ، وعدد كبير من أعيان البلد ووجهائه ، أسفرت هذه المناظرة عن اعتراف «القس فندر» بوقوع التحريف في ثمانية مواضع من الإنجيل ، وتزايد عدد الحاضرين في الغد وازداد عدد الحكام الإنجليز والمسيحيين والهنادك والسيخ ، وظهر ضعف «فندر» في المناظرة وتعنته ، ولم يرجع القس إلى المناظرة في اليوم الثالث وأصبح شعاراً له أنه إذا علم بوجود الشيخ في مكان غادره.

وقد ألف الشيخ رحمة الله كتابه «إظهار الحق»[3] على اقتراح الخليفة العثماني السلطان عبد العزيز والصدر الأعظم خير الدين باشا ، وكان الشيخ قد هاجر إلى مكة المكرمة عقب ثورة ١٨٥٧ م وزار القسطنطينية سنة ١٨٦٤م على طلب من خليفة المسلمين فألفه في الآستانة سنة ١٢٨٠هـ ، وقد آثر في هذا الكتاب خطة الهجوم كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» ، واعتمد في الكتاب على التناقضات الواضحة والبديهيات الجلية من الأخطاء التي لا تقبل التأويل ، واستخرج منها نتائج كنتائج رياضية لا يختلف فيها اثنان ، ووضع عقيدة التثليث في

---

(١) صدرت للكتاب الطبعة الثامنة باللغة الفارسية سنة ١٨٤٩ م من آكره ، والطبعة الثالثة باللغة الأردية سنة ١٨٥٠ م ، والترجمة الإنجليزية سنة ١٩١٠ م.

(٢) لعلها باسم متنصر تسمى بهذا الاسم النصراني.

(٣) وللشيخ رحمة الله ثلاثة كتب أخرى في نقد النصرانية ، وإثبات الإسلام وهي: «إزالة الأوهام» و«إزالة الشكوك» و«أصح الأحاديث في إبطال التثليث».

النصرانية على محك العقل ، ونقدها نقداً علمياً ، وأضاف إلى ذلك الحديث عن القرآن الكريم وإثبات أنه كلام الله ، والسيرة النبوية ، وذكر المعجزات والبشارات التي وردت في شأن النبي ﷺ ، ونقل الكتاب إلى عدة لغات أوربية ، وقد كتبت كبرى صحف إنجلترا (London Times) تعليقاً على هذا الكتاب ، «لو دام الناس يقرؤون هذا الكتاب لوقف تقدم المسيحية في العالم»[1] .

وألف علماء مسلمون آخرون في الهند كتباً ذات قيمة علمية ونقدية كبيرة في الرد على المسيحية ، ونقد «الكتاب المقدس» ، منهم العلامة السيد آل حسن الموهاني (١٢٨٧ هـ) صاحب كتابي «الاستفسار» و«الاستبشار» والشيخ عنايت رسول الجريا كوتي (١٣٢٠ هـ) صاحب كتاب «البشرى» (وكان قد درس اللغة العبرانية وأتقنها) .

وساهم في هذا العمل الشيخ عبد الحق الحقاني صاحب التفسير المشهور باسمه ، والشيخ محمد علي المونجيري مؤسس ندوة العلماء ، والقاضي محمد سليمان المنصور فوري ، والسيد نواب علي اللكنوي صاحب كتاب «تاريخ الصحف السماوية» ومولانا ثناء الله الأمر تسري .

هكذا تكونت أكبر مكتبة وأكثرها قيمة علمية في الرد على النصرانية في الهند ، لأسباب دعت إلى ذلك ، ولشدة غيرة المسلمين على دينهم ، وصمودهم أمام هجمات الديانات الأخرى الدعوية والعلمية .

حصـاد قـرن كامل :

لو اعتبرنا بداية العهد فيما يتصل بإقبال الشعب المسلم الهندي على اللغة الإنجليزية ، والعناية بتعلمها وتحصيلها ، عام ١٨٧٥ م ، حيث أسست «مدرسة العلوم» في «علي جراه» ونسقط من الحساب عام ١٨٥٧ م ، حينما

---

(١) ملخصاً من تقديم العلامة الندوي لكتاب «إظهار الحق» طبعة قطر ، سنة ١٩٨١ م .

ذاق المسلمون هزيمة شاملة على يد الاستعمار الإنجليزي وكانوا مذعورين بفعل الغزو والفتح الإنكليزي المتتابع ، ونعتبر النهاية سنة ١٩٨١ م ، وقد أنجبت خلال هذه المدة كلية (M. A. O. College) والجامعة الإسلامية فيما بعد رجالاً كانوا يتميزون بغيرتهم الإسلامية وحميتهم الدينية ، واقتدارهم على اللغة الإنجليزية كأبنائها ، وجدنا كتباً مؤلفة باللغة الإنجليزية هي قليلة العدد بالنسبة إلى مدة أكثر من قرن ، ولكنها كبيرة القيمة وكثيرة العدد بالنسبة إلى أقطار إسلامية أخرى.

بعض مؤلفات الكتاب الهنود المسلمين الإنجليزية الممتازة:

ونجد في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، وأوائل القرن العشرين مؤلفين باللغة الإنجليزية يضعون في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، كتباً يؤخذ برشاقة لغتها أبناء اللغة الإنجليزية أنفسهم ، ويستقطبون اهتمام الغرب بغناء مقالاتهم وقيمة موادها وجمال عرضها ، على رأسهم وفي مقدمتهم السيد أمير علي الذي ألف كتابه (The Spirit of Islam) (روح الإسلام) الذي لا يسعنا أن نتفق مع جميع الأفكار والآراء التي أودعها فيه ، ولكنه أثار الإعجاب والتقدير في الأوساط العلمية الأدبية في إنجلترا ، وأرغم عدداً وجيهاً من المثقفين الإنجليز الأفاضل على الاعتراف بصدق الإسلام وحقيقته ، وقد قال عنه المستشرق آسبورن: (Osborn):

«إن هذا الكتاب يستحق الإعجاب حقاً ، وقد كتب بأسلوب يدل على ملك كاتبه لناصية اللغة الإنجليزية ، أسلوب قل من يستطيع أن يجاريه من الإنجليز المثقفين ، أسلوب خلا من العيوب التي وقع فيها مثقفو الهنود. . . ويجب أن يهنأ مسلمو الهند بأن يكون منهم من بلغ هذه الدرجة ، ومن المستحيل على من فاتحة أعماله هذا الكتاب ألا يكون له في مستقبله أثر فعال عميق في قوته ، أما موضوع الكتاب فإننا نخالفه في كثير من مسائله ،

وسنعرض وجهة نظرنا ووجهة خلافنا فيما بعد»[1].

وقد ظل كتابه (A Short History of The Saracens) (تاريخ العرب المختصر) موضع القبول والعناية إلى مدة طويلة بفضل سلاسة لغته ، ورشاقة كتابته ، وما يتسم به من الاعتدال والاتزان.

والمؤلف الثاني المسلم الذي تجاوزت شهرته الهند ، هو «صلاح الدين خدا بخش» الذي نقل عدداً من الكتب في الموضوعات الإسلامية من الألمانية إلى الإنجليزية ، أما كتبه التي وضعها بالإنجليزية فمن أشهرها المجلد الثاني من كتاب[2] (Contribution to the History of Islamic Civilization) (إسهام في تاريخ الحضارة الإسلامية) وكتابه[3] Essays, India- Islamic (مقالات في الهند والإسلام).

ولكن المؤسف أن كثيراً من آرائه نال معارضة من المثقفين الذين كانت لديهم معرفة صحيحة بالإسلام وبتاريخه.

وكانت سِمَةُ كتابات الكتاب المسلمين بالإنجليزية في هذه الردحة من الزمن (أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين) البارزة ، الإعجاب الزائد بالغرب ، والفلسفة الغربية ، والعلوم الطبيعية ، التي كانت لا تزال إلى هذا العهد تقطع مراحل الطفولة ، والتأويل البارد المتطرف للحقائق الغيبية والمعجزات النبوية ، وأنباء ما وراء العقل والمحاولات المتكلفة للتوفيق بينها وبين المعلومات العصرية ، والمبادىء الطبيعية ، والتوفيق بين روح الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ، أضف إلى ذلك كله أن أكثر هذه الكتب قد وضعت بالأساليب الدفاعية الاعتذارية (Apologetic).

---

(١) «زعماء الإصلاح في العصر الحديث» للدكتور أحمد أمين ص ١٤٠.

(٢) طبع جامعة كلكته، ١٩٣٠م والمجلد الأول ترجمة كتاب «وان كريمر» (Von Kremer) من الألمانية.

(٣) تأليف ١٩١٢ م.

وبعد هؤلاء المؤلفين إن كان هناك من المؤلفين باللغة الإنجليزية من يجدرون بالذكر بفضل علو كعبهم وقيامهم بعمل تأليفي وكتابي قيم ، استرعى انتباه العالم ، واستفاد منه رجال العلم في أوربة، وأحالوا عليه في مؤلفاتهم وكتاباتهم فهما: العلامة محمد إقبال صاحب كتاب «الصياغة الجديدة للفكر الديني في الإسلام»[1]. (Reconstruction of Religiou Thought in Islam) الذي هو مجموع محاضراته التي ألقاها بمدينة «مدراس» بالهند ، مما يبعث على التفكير الجديد ، ويزخر بالمواد القيمة ـ رغم بعض الآراء الشاذة التي يتضمنها ، والتطرف الفلسفي في تفسير بعض العقائد والحقائق الدينية[2] ، وقد أعاره رجالات الفكر في أوربة أهمية بالغة ، واقتبسوا منه في كتاباتهم ، كما لقي ما قام به العلامة عبد الله يوسف علي من ترجمة القرآن الكريم باللغة الإنجليزية ، إعجاباً كبيراً وقبولاً نادراً ـ بفضل نقاء لغتها وحلاوة موسيقاها ، وقوة عرضها وجمال أسلوبها ـ في أوربة وأمريكا ، وظهرت لهذه الترجمة طبعات كثيرة في باكستان ، والمملكة العربية السعودية ، والبلاد الإسلامية وغير الإسلامية الأخرى أيضاً.

وكذلك عرفت الترجمة الإنجليزية للقرآن الكريم التي قام بها بكتال (Pickthall) بفضل عذوبة لغتها وأسلوبها وخصائصها التي تتميز بها ، وقد قوبلت بحفاوة وتحبيذ وإقبال ، على أنها لا تخلو من الأغلاط.

وسيكون من الإجحاف وغمط الحقوق ـ ونحن في سبيل الحديث عن التراجم الإنجليزية للقرآن الكريم ـ أن لا أتعرض لقيمة ترجمة معاني القرآن الكريم بالإنجليزية للأستاذ الكبير المرحوم عبد الماجد الدريابادي ـ الكاتب

---

(١) وقد نقله إلى العربية باسم «تجديد الفكر الديني في الإسلام» الأستاذ عباس محمود ، وطبع في مصر ، كما ترجم الكتاب إلى اللغة الأردية.

(٢) وقد اعترض على ذلك العلامة السيد سليمان الندوي ، ونبه عليه العلامة الندوي في مقدمة كتابه «روائع إقبال».

الأردي الكبير ـ وقيمة هذه الترجمة في الواقع هي تلك التعليقات الغنية التي هي نتيجة دراسة موسعة عميقة للديانات وللمصادر اليهودية والمسيحية ، وقد استخدم الأستاذ هذه الدراسة لتقرير حقيقة ما يتضمنه القرآن من حقائق وعلوم ، ولإثبات إعجازه وتأكيده ، الأمر الذي يتميز به الأستاذ المغفور له من بين جميع المترجمين المعاصرين ، ومن المؤسف أن هذه الترجمة لم تقدر حق قدرها ، وما أولتها الأوساط العلمية من العناية ما تستحقه[١] .

عمل الجماعة الأحمدية في مضمار التأليف والدعوة :

وقد كان للجماعة الأحمدية التي كان يقودها ويرأسها الأستاذ المعروف بمولانا محمد علي اللاهوري[٢] نشاط ملحوظ في تأليف كتب في الإنجليزية للتعريف بالإسلام ، والسيرة النبوية ، تحل من الطبقة المثقفة الجامعية في الهند وغيرها ، محل القبول والرضا في لغة إنجليزية لا بأس بها وفي الأسلوب العصري ، كان في طليعة هؤلاء المؤلفين الأستاذ محمد علي اللاهوري المذكور رئيس الفرع ، فأصدر ترجمة معاني القرآن الكريم بالإنجليزية .

وقد أقبل على قراءتها عدد كبير من المثقفين الجدد في الهند وخارج الهند ، وهي تحمل تفسيراً وتعليقات بقلمه ، وشغف بها كثير ممن لم يتعمق

---

(١) وقد قام بنشر هذه الترجمة شركة تاج Taj Company وأصدرت طبعتها الأولى ، ويقوم المجمع الإسلامي العلمي في ندوة العلماء مسروراً ومشكوراً بإصدار الطبعة الثانية المنقحة لهذه الترجمة .

(٢) وهو رئيس الفرع اللاهوري المنشق عن الجماعة القاديانية (التي تؤمن بنبوة المرزا غلام أحمد في صراحة ووضوح) ويؤمن هذا الفرع بأن المرزا غلام أحمد كان مجدداً للقرن الرابع عشر ، والمصلح الأكبر ، ويعتقد أنه المسيح الموعود ، وعلى ذلك تلتقي الطائفتان ، ويعتبرهم جميع المسلمون أقلية غير مسلمة ، وعلى ذلك صدر القرار الرسمي من باكستان. راجع للتفصيل كتاب العلامة الندوي «القادياني والقاديانية» فصل «الفرع اللاهوري» .

في الفهم الديني ، ولم يجد من الكتب الإسلامية الموضوعة في ذلك العهد في اللغة الإنجليزية ما يسد حاجته ويرضي نهامته للقراءة ، إلا أن تفسيره وتعليقاته على هذه الترجمة يغلب عليها اتجاه تفسير المعجزات والأمور الغيبية بالأمور الطبعية والحوادث العادية ، إلى حد التطرف والإغراق ، ولو أبى ذلك اللغة العربية واللفظ الصريح ، ويغلب عليه الخضوع الزائد للمقررات الطبعية التي كانت لا تزال في دور التحول والتطور[١] وله كتاب في السيرة النبوية باسم (Muhammad the Prophet) وقرىء في شبه القارة الهندية وخارج الهند في نطاق واسع ، وأعجب به الشباب المثقف وأساتذة الجامعات ، الذين لم يكونوا يجدون كتاباً آخر في السيرة ، يكشف لهم عن عظمة النبوة المحمدية والرسالة الإسلامية ، وتصور لهم البيئة والملابسات التي جاءت فيها ، وعن دورها في الإصلاح ، ويوجز لهم الحوادث التي مرت في الحياة الكريمة ، وذلك كله يدل على ضرورة وجود الكتاب الإسلامي الذي يشبع به الناشئون والمثقفون رغبتهم في معرفة الإسلام وصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ، فإن لم يجدوا الشيء الكامل المثالي أشبعوا رغبتهم من الشيء الموجود الميسور.

ويلي الأستاذ محمد علي اللاهوري زميله وقرينه الداعية الإسلامي المعروف في إنكلترا والخطيب المصقع بالإنجليزية خواجه كمال الدين صاحب كتابي (Prophet the Ideal) (النبي المثالي) و(Sources of Christianity) (منابع المسيحية) وقد كان على نفس شاكلة صديقه وأميره

---

(١) اقرأ أمثلته ونماذجه العجيبة في كتاب العلامة الندوي «القادياني والقاديانية» في الفصل الثالث «الفرع اللاهوري عقيدته وتفسيره».
ومن الحقائق العلمية والتاريخية التي يجب أن تسجل أن الزعيم السيد أحمد خان رائد التعليم الغربي في الهند ، ومؤسس الجامعة الإسلامية في عليجراه ، هو الذي شق هذا الطريق وسبق إليه في تفسيره للقرآن ، وكل من جاء بعده اقتطف منه ، وسار على منهجه ، وفاق عليه في كثير من الأحيان كما هي العادة في مثل هذه الاتجاهات.

الأستاذ محمد علي في الاعتقاد في المرزا غلام أحمد وإجلاله له ، وهو صاحب مركز (Woking Mission) في لندن.

المؤلفون المعاصرون:

وإذا صرفنا النظر عن هذه الطبقة، فالذي طبق صيت عمله العلمي الشرق والغرب، إنما هو صديقنا الفاضل الدكتور حميد الله الحيدر آبادي الهندي النزيل حالياً «بباريس» وهو صاحب الترجمة الفرنسية لمعاني القرآن الكريم التي نالت قبولاً واعتماداً في الأوساط العلمية الفرنسية، وأخص بالذكر من مؤلفاته بهذه المناسبة كتابين الأول (التعريف بالإسلام) (Introduction to Islam) والثاني «محمد رسول الله» (Mohammmad Rasoolullah) الكتابان اللذان عن طريقهما استطاع آلاف المسلمين الناطقين باللغة الإنجليزية وحدها أن يعرفوا ويفهموا الإسلام ونبيه ﷺ ، لكن الذي يدل على جلالة شأنه وطول باعه وسهره على البحث والتحقيق، والجهود المضنية وإعمال التفكير الطويل ، هو كتابه «صحيفة همام بن منبه» (Sahifa Hammmam Bin Munabbih) الذي أكد فيه بحجج لامعة أن عملية جمع الحديث وتدوينه قد بدأت في عهد النبوة ذاته، ودامت مستمرة حتى عهد أصحاب الصحاح والسنن، ولا تتخللها فترة أو فجوة زمانية ، وقد قام الأستاذ من خلال وضع كتابه هذا بخدمة قيّمة لا للحديث فحسب بل للإسلام ، تستوجب الاعتراف والتقدير والشكر من أبناء الإسلام.

ولا يسعنا أن نغض البصر عن خدمات الأستاذ الدكتور مصطفى الأعظمي[1]، في هذا الصدد ، الذي أيد رأي الدكتور حميد الله بوثائق

---

(١) أحد كبار العلماء المحققين الهنود في الحديث وعلومه ، درس في دار العلوم ديوبند الإسلامية في (الهند) ثم في الأزهر ، نال الدكتوراه من جامع كمبردج (بريطانية) بتقديم رسالته القيمة بالإنجليزية باسم: «دراسات في الحديث النبوي» ، وله تحقيقات نفيسة ، من أشهرها: تحقيق «صحيح ابن خزيمة» وتحقيق: «مغازي عروة بن الزبير».

تاريخية ، وقام بتصعيد عمل الدكتور من خلال الكتاب الذي وضعه باسم (Studies in Early Hadith Literature) وعضد الدعوى بتفصيل أكثر ، ودليل أقوى ، ويعد كتاب الأستاذ ايم ـ اي شوستري (Outlines Islamic Culture) وتأليف الدكتور برهان أحمد فاروقي (The Mujaddiids Concetion of Tauhid) إضافة قيمة إلى المكتبة الإسلامية .

ولا بأس بأن ندرج في قائمة المؤلفين باللغة الإنجليزية على المواضيع الإسلامية ـ مع الاعتراف والتقدير ـ الحافظ غلام سرور ، والدكتور السيد عبد اللطيف الحيدر آبادي ، اللذين قاما بترجمة القرآن باللغة الإنجليزية بالإضافة إلى أعمالهما الأخرى ، وسير أمين حنك ، والدكتور مير ولي الدين ، والدكتور عبد المعيد خان ، والأستاذ ظهير الدين الفاروقي(١) والسيد مظفر الدين الندوي(٢) والحاج مولانا فضل الكريم ، والسيد أطهر حسين ، والسيد محيي الدين ، لكن ذلك كله لا يغطي المساحة الزمانية ، التي تمتد على قرن كامل ، وتبتدىء من ١٨٧٥ م وتنتهي إلى ١٩٨١ م .

بعض مؤلفات الكتَّاب «المهتدين» القوية :

ومما يبعث على العجب ، ويدل على قوة الإسلام وإعجازه ، وقدرته على الغزو العلمي ، أن رجلاً حديث العهد بالإسلام وضع كتابين باللغة الإنجليزية ، هما من أحسن الكتب التي تبعث الإيمان ، وتشحذ الروح ، وتغذي القلب ، وتفيض بروح الثقة والاعتزاز ، أعني محمد أسد الذي كان يتسمى فيما قبل أن يتشرف بالإسلام (Leopold Weis) وهو ألماني ينحدر من سلالة يهودية ، وقد أثار كتابه الأول «الإسلام على مفترق الطرق»

---

(١) له كتاب جيد عن الإمبراطور أورنك زيب عالمكير الملك المسلم الذي احتدم النقاش حوله واتخذ غرضاً للهجوم والاتهامات في الأوساط الهندوكية الطائفية ومؤلفات المؤرخين الهندوس والإنجليز ، واسم كتاب الأستاذ الفاروقي (Aurangzeb & His Age) «أونك زيب وعصره».

(٢) هو صاحب كتاب (Muslim Thougt & its Source) «الفكر الإسلامي ومصدره».

(Islam At The Cross Roads) اليقظة الفكرية ، وروح الثقة واليقين عبر العالم الإسلامي ، لا عبر آسيا فحسب ، فلا نعلم كاتباً ولا كتاباً منذ عهد بعيد يدافع عن السنة النبوية ، والحضارة الإسلامية ، هذا الدفاع القوي الذي يقوم به هذا الكتاب ، كما أنه لا نجد كاتباً أوربياً تحدث عن نقط الافتراق والاختلاف فيما بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية في هذا الوضوح والتفصيل والدقة ، وتناول الحضارة الغربية بهذا النقد اللاذع المر المدعم بالدلائل والوثائق ، وقد وضع الأستاذ محمد أسد هذا الكتاب خلال إقامته بالهند ، وقد نقله الأستاذ عمر فروخ إلى اللغة العربية باسم «الإسلام على مفترق الطرق» وظهرت له طبعات.

أما كتابه الثاني فهو (Road to Mecca) الذي استقبل في أوربة وأمريكا بحفاوة وإقبال ، وقرىء بشوق ورغبة ، تحدث فيه المؤلف عن فضل الحضارة الإسلامية ، وشمولية الإسلام وعظمته بلباقة وقدرة ، وحاول محاولة موفقة ـ من خلال تصوير جزيرة العرب والمجتمع الإسلامي ، ومجتمعات الدول الإسلامية تصويراً دقيقاً ـ أن يثبت فضل المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية في أذهان الأمريكان والأوربيين في طيّ الحديث عن التجارب التي مرّ بها في رحلته الصحراوية وأثناء القيام «بمهنته الصحافية» التي من أجلها تجشم هذا السفر الطويل الخطر ، وذلك كله في ثوب قشيب من لغته الأدبية الرفيعة ، ونقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية باسم «الطريق إلى مكة» وترجمه في اللغة الأردية فقيد الدعوة الإسلامية المرحوم الأستاذ محمد الحسني على سماح من المؤلف ، ونشره المجمع الإسلامي العلمي بلكهنؤ[١] ، وظهرت ترجمته إلى اللغة الهندية أيضاً.

ولا يمكن التغاضي بمناسبة الحديث عن المؤلفات الإنجليزية على المواضيع الإسلامية التي دبجها قلم السيدة مريم جميلة الحديثة العهد

(١) بعنوان «طوفان سي ساحل تك» مع مقدمة العلامة الندوي.

بالإسلام ، وهي امرأة أمريكية فاضلة ، مثقفة ثقافة واسعة ، كانت تعرف قبل أن يكرمها الله سبحانه بالإسلام بـ(Margaret Marcus) إن كتاباتها تتأسس على دراسة عميقة لتاريخ الحضارة الغربية وانطلاق وتحرر كامل عنها بل وثورة شاملة عليها ، وكتاباها (Islam Versus the West) «الإسلام إزاء الغرب» و(Islam & Modernism) «الإسلام والتجدد» من أهم الكتب التي تمتاز بأصالة الفكر والدراسة، وعمق النظرووتنم عن الفهم الإسلامي ، والاستقلال الفكري في نقد الحضارة الغربية ، وتقييم حركات التجدد والتغريب.

المجمع الإسلامي العلمي وإنتاجه:

ومن أحدث المجامع العلمية سناً وأكثرها إنتاجاً (وخاصة في اللغة الإنجليزية) «المجمع الإسلامي العلمي»[1] في ندوة العلماء بلكهنؤ ، الذي قام في ١٩٥٩ م ، وكان المقصود من هذه المؤسسة إعادة الثقة في الشباب المسلم المثقف بجدارة الإسلام ، ليس للبقاء والاستمرار بل لقيادة الركب البشري ، وحل المعضلات العصرية ، والإيمان الجديد القوي بصاحب هذه الرسالة ـ ﷺ ـ وبأنه هو «خاتم الرسل ، وإمام الكل ، ومنير السبل» وسيرته وتعاليمه ، والدراسات المقارنة ، والبحوث العلمية التي تجمع بين التعبير الصحيح عن الإسلام ، وإقناع العقل الجديد ، وقد بدأ كنواة صغيرة بإمكانيات محدودة ، لا تتصور لمثل هذا المشروع العلمي الأكاديمي الواسع ، وقد قام في ظرف أقل من ربع قرن بنشر ١٥٥ كتاباً في لغات مختلفة ، منها خمسون (٥٠) في الإنجليزية ، وأكثر من ستين (٦٠) في الأردية ، وسبعة وثلاثون (٣٧) في العربية وستة (٦) في اللغة الهندية.

ومن أجدر مطبوعاته بالذكر ترجمة كتاب «السيرة النبوية»[2] لصاحب هذا

---

(١) ويعرف بالإنجليزية باسم:
(The Academy of IslamicResearch & Publication).

(٢) وقد صدرت لها الطبعة العربية من «دار ابن كثير» ، بدمشق.

البحث ، باسم (Mohammad Rasulullah) وكتاب «الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة والدراسة المقارنة»[1] باسم (Four Pillars of Islam) وترجمة كتاب «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية» باسم (Western Civilization Islam and Muslims) وترجمة كتاب «الصراع بين الإيمان والمادية» باسم (Faith versus Materialism) وكتاب «بين الدين والمدنية» باسم (Religion and Civilization) وكتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»[1] باسم (Islam the World) وسلسلة كتب «رجال الفكر والدعوة في الإسلام»[2] باسم (Saviours of Islamic Spirit) (١ ـ ٢ ـ ٣) وترجمة كتاب «القادياني والقاديانية» باسم (Qadianism a critical study) ونظرة على حياة المسلم ـ (The Musalman).

هذه الكتب كلها بقلم صاحب هذا المقال أما لغيره فقد نشر المجمع ترجمة كتاب «خطاب مدراس» «الرسالة المحمدية»[2] للعلامة السيد سليمان الندوي ، باسم ـ(Muhammad The Ideal Prophet) وكتاب في الخلفاء الراشدين للسيد أطهر حسين ، باسم (The Glorious Caliphate) وسلسلة كتب «معنى الحديث ورسالته» للعالم الشهير الشيخ محمد منظور النعماني منشىء مجلة «الفرقان» (Meening and Message of the Traditions) وكتاب «ما هو الإسلام؟» (What Islam is?) وكتاب «الدين والشريعة» باسم (Islam, Faith and practice) وكتاب «بماذا يحدث القرآن؟» له أيضاً باسم (The Quran and you) ورسالة القرآن(The Message of Quran) للسيد أطهر حسين.

هذا ما عدا كتب في التاريخ والأدب كترجمة كتاب «روائع إقبال، باسم (Glory of Iqbal) وكتاب «الهند في العهد الإسلامي» للعلامة السيد عبد

---

(١) وقد صدرت لهما الطبعة العربية من «دار ابن كثير» ، بدمشق.
(٢) وقد صدرت من «دار ابن كثير» ، بدمشق.

الحي الحسني باسم (India During Muslim Rule) و«هندوستاني مسلمان» باسم (Muslims in India) وكتاب في سيرة الإمام السيد أحمد الشهيد، وحركته الإصلاحية والجهادية الكبيرة باسم (Saiyid Ahmad Shahid) للسيد محيي الدين، عدا مجاميع محاضرات ألقيت في أوربة وأمريكا، كحديث مع الغرب باسم (Speaking Plainly to the west) وأحاديث صريحة في أمريكا باسم (From The Deepth of Heart in America).

وقد اقتصرنا على الكتب التي نشرت في اللغة الإنجليزية وقد كان للدكتور محمد آصف القدوائي، والسيد محيي الدين الفضل الكبير في نقل أكثر هذه الكتب إلى اللغة الإنجليزية الأدبية العصرية(١)، وقد كان للدكتور محمد آصف القسط الأوفر في هذا العمل العلمي الأدبي(٢)، وقد نالت هذه الكتب والترجمات رضاً وإعجاباً في الأوساط العلمية والدعوية وفي القارات الثلاث أوربة، وأمريكا، وإفريقية، ولا يزال لها طلب وعليها إقبال في هذه القارات يصعب على المجمع الإسلامي العلمي ـ بإمكانياته المحدودة ـ تحقيقه ومسايرته.

الإنتاج العلمي التحقيقي الكبير في اللغة الأردية:

هذا كل ما تحدثت عنه من الإنتاج العلمي أو العمل الأكاديمي في مقاصد إسلامية وموضوعات علمية، الذي تم في القرن العشرين الميلادي، وكان كله أو جلّه برز إلى الوجود في شبه القارة الهندية قبل التقسيم، إلا النزر القليل الذي تم بعده، إنما يختص باللغة الإنجليزية.

أما إذا تخطينا حدود اللغة الإنجليزية، فأخذنا اللغة الأردية بعين الاعتبار، اللغة التي كانت ولا تزال اللغة العلمية الراقية الثانية بعد اللغة

---

(١) يستثنى من ذلك كتاب (Qadianism) فإنه من ترجمة الدكتور ظفر إسحاق الأنصاري.

(٢) قال لي بعض أدباء الإنجليزية أن ترجمة كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» بالإنجليزية مثال رائع للترجمة، قلّما يوجد له نظير (العلامة الندوي).

الإنجليزية ، ولغة التأليف والتفاهم بين المسلمين بصفة عامة ، ولغة التعارف في الولايات الهندية ، والتي يدرسها ويفهمها عدد لا يستهان به من المثقفين الهنادك ، فمما يجب الاعتراف به وتسجيله للتاريخ والأجيال الصاعدة ، أن الإنتاج العلمي المؤسس على الدراسة العميقة ، والجدية والأصالة ، وغزارة المادة والقيمة العلمية ، كان أضخم وأعظم فيها من كل لغة من لغات العالم الإسلامي ، وكان للعلماء المتخرجين في «المدرسة (بأوسع معانيها) الدينية الشرقية العربية» الدور القيادي في هذا النشاط العلمي والفكري واليقظة الإسلامية والجهاد المعنوي الذي كان في بعض الأحيان أفضل الجهاد في هذا الصراع الفكري والقلق النفسي الذي كان يعانيه الشباب المسلم الجامعي ، بل في زمن الردة الفكرية والحضارية ـ والردة العقائدية في بعض الأحيان ـ التي كانت تغزو شبابنا المتخرج من الجامعات الأوربية ، بل الجامعات الهندية كذلك ، نقول ذلك في ضوء الدراسة المقارنة المحايدة الدقيقة ، وفي ضوء الواقع والشهادات .

العلامة شبلي النعماني والعلامة السيد سليمان الندوي[1] ومجمع «دار المصنفين» :

ويسعدني ويحلو لي أن أقول ذلك : وأعلنه في مكان كان له ولمؤسسه العظيم وزملائه الفضلاء وتلاميذه النجباء فضل الانتباه لأهميته وخطره وضرورته ، والدعوة إليه والبدء به ، أعني «دار المصنفين» التي نلتقي على صعيدها ، ونعقد هذه الندوة العلمية العالمية فيها ، وكان أول مجمع علمي تحقيقي شعبي أنشىء في العالم الإسلامي (في حد معلوماتنا) لمواجهة خطر الغزو الفكري وكتابات المستشرقين المغرضة ، ولإقناع الشباب المثقف بفضل تعاليم الإسلام ، والتعرف بالشخصية النبوية الجليلة وبسيرتها والجيل

---

(١) انظر للاطلاع على ترجمتيهما بكاملها كتاب «الإعلام بمن في الهند من الأعلام في القرن العشرين» .

الذي تربى في أحضانها ، وبقيمة الثروة الإسلامية العلمية.

ولما صدر الأستاذ جرجي زيدان كتابه المشهور «تاريخ التمدن الإسلامي» من مصر في أوائل القرن العشرين كان له دوي في الأوساط العلمية ، وقد كان في كتاب جرجي زيدان ـ رغم غزارة المادة ووفرة المعلومات ـ تجنٍّ على الخلفاء الأمويين والعباسيين وتحريف لبعض الحقائق التاريخية ، وإعادة لأسطورة إحراق مكتبة الإسكندرية الخرافية ، ثارت في العلامة النعماني الحمية الإسلامية ، ولم يمنعه ثناء المؤلف عليه وإشادته بذكره[١] ولا بعد المكان ، عن تناوله بالنقد العلمي المدعم بالدلائل والوثائق ، وألف كتاب «الانتقاد على التمدن الإسلامي» بالعربية سنة ١٩١٢ م وتلقته الأوساط الإسلامية العلمية في الهند ومصر بالشكر والرضا والقبول[٢].

وقد خلفت مدرسة شبلي التأليفية آثاراً لامعة من البحث والتحقيق ، والدراسة المضنية ، والاتزان الفكري ، وسداد الرأي ، وإصابة التفكير ، والتعمق والإمعان ، بجانب سعة الاطلاع ووفرة المعلومات ـ فيما يتصل بالمباحث والدراسات الإسلامية الأولى ـ وللمتخرجين فيها الدور الطليعي في ذلك ، لأنهم حازوا قصب السبق فيه ، فقد اختاروا من الأساليب اللغوية والمناهج الأدبية والبيانية ما يتفق مع المباحث العلمية الجادة كل الاتفاق ، ويوجد فيها من الحلاوة الأدبية والكتابية ، والرشاقة الإنشائية ـ بكميتها الصحيحة ونسبتها المعتدلة ـ ما كان لابد منه لاستقطاب الشباب والجيل المعاصر الذي نشأ وتربى في المحيط الأدبي ، والبيئة المولعة بانتقاء اللغة وتنقيح مناهج الكلام إلى أمثال تلك المباحث العلمية والتاريخية الجافة ، وقد كان لكتاباتهم فضل كبير في إعادة الثقة إلى الطبقة المثقفة بالثقافة الغربية العصرية من أبناء الإسلام بالعقائد والمقررات الدينية ، وبالحضارة والثقافة

(١) الجزء الثاني من كتاب تاريخ التمدن الإسلامي مقدمة الطبعة الأولى ص ٢٦٠.

(٢) صدر الكتاب من مطبعة آسي بريس لكهنؤ طبع الحجر في ٨٢ صفحة من القطع الكبير.

الإسلامية ، وبتاريخهم الزاهر ، وبلغتهم وآدابهم ، وفي إحياء الاعتداد بالنفس والثقة بالذات ، وإزالة «مركب النقص» الذي أحدثته الهزيمة في الصراع مع الاستعمار الإنجليزي في ١٨٥٧ م ، وأصَّلته الثقافة الغربية والغزو الفكري الأوربي.

ثم إن كتاباتهم تتميز بالأصالة (Originality) والنزاهة والتجرد - إلى حد كبير - من «التطرف» وسوء الفهم ، ذلك الذي ينشأ طبيعياً من الدراسة غير المباشرة ، ومن المعلومات الحاصلة بالوساطة وبطريق غير مباشرة ، والذي وقع - ولا يزال يقع - فريسته المستشرقون ورجالات العلم والبحث في أوربة ، وتلاميذهم في الشرق والغرب.. وذلك بفضل تعمق هؤلاء العلماء والمؤلفين في اللغتين العربية والفارسية ، وتحصيلهم للعلوم الإسلامية ، وتخرجهم فيها بطريق منظم ، واطلاعهم المباشر على المصادر والمراجع الإسلامية الأصيلة ، واقتدارهم على الاستفادة منها ، والرجوع إليها متى شاؤوا.

وكان من أكبر مآثر العلامة شبلي النعماني صاحب فكرة «دار المصنفين» ومشروعها[1] ، البدء بتأليف سيرة النبي على صاحبها الصلاة والسلام في إطار أوسع وفكرة أشمل وأكمل ، مما جرى عليها مؤلفو السيرة في الزمن القديم والحديث ، وقد وسعها ومدها تلميذه وخليفته النابغة العلامة الدكتور السيد سليمان الندوي ، فأكملها في سبعة أجزاء ، الجزء الأول من هذه السلسلة بكامله بقلم العلامة شبلي النعماني ، والجزء الثاني فيه زيادات من تلميذه العلامة السيد سليمان الندوي ، والأجزاء الباقية كلها بقلمه السيال وبيانه السلسال ، وتفصيله أن المجلد الثالث يتعلق بالدلائل والمعجزات ،

---

(١) كانت «دار المصنفين» (المجمع العلمي التحقيقي) أمنية العلامة شبلي النعماني العزيزة ، وقد خطط ووقف لها أرضاً من ملكه ، ولكن لم يمهله الأجل ، فقام بإنشائها وإبرازها إلى حيز الوجود تلميذه وخليفته العلامة السيد سليمان الندوي في نوفمبر ١٩١٤ م.

والرابع خاص بمنصب النبوة ، ويبحث عن حقيقة منصب النبوة وخصائصها وعن واقع العالم المتمدن والجزيرة العربية عند البعثة ، ويبحث في العقائد الإسلامية في تفصيل ، والخامس خاص بالعبادات البدنية والمالية والقلبية ، والجزء السادس يشتمل على التعليمات الخلقية وفلسفة الأخلاق في الإسلام ، وهو من البحوث التي تعتبر من مزايا هذا الكتاب ، أما السابع الأخير فيبحث عن المعاملات والسياسة ، وهكذا أصبح الكتاب موسوعة في السيرة وتعاليمها وآثارها.

ومنها كتاب العلامة النعماني في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب المعروف بـ«الفاروق»[1] الذي يعد من الآثار الأدبية الخالدة ، ومثالاً للإنشاء البليغ القوي ، الذي غرس في قلوب كثير من الشباب المسلم المثقف بالثقافة الغربية ، حب الإسلام وبذور الإيمان ، وأصبح حافزاً لهم على الصمود أمام الهجمات الغربية ، الفكرية والحضارية ، وعرض نموذجاً عصرياً راقياً ـ كان المثال المحتذى ـ في تأليف سير الرجال والعظماء ، وذلك في كتبه «الغزالي» و«جلال الدين الرومي» و«المأمون» و«الإمام أبو حنيفة النعمان» وصاغ تلاميذه التاريخ الإسلامي الذي كاد يكون مهجوراً أو مطموراً في بطون الدفاتر ، صياغة جديدة تتفق مع الأسلوب العصري والمنهج الفكري الجديد ، وذلك في ضمن كتب «أسوة الصحابة» و«سير المهاجرين» و«سير الأنصار» و«سير التابعين» وغيرها.

وإذا كانت قيمة بحث علمي ، وكتاب جليل تتمثل في مواده وغنائه بالمعلومات المستندة إلى الدلائل العلمية القوية ، المبنية على التحليل والاستعراض ، المنتقاة من الوثائق والشواهد ، والحجج اللامعة ، فإنه يمكن القول بكل تأكيد ، أن «شعر العجم» للعلامة شبلي النعماني في تاريخ الشعر الفارسي وتحليله ونقده ، وتراجم شعراء إيران ، وكتابيه «الجزية في

(١) وقد ترجمه للعربية الأستاذ الدكتور جليل الحفناوي ، وقد طُبع في مصر.

الإسلام» و«حقوق الذميين» اللذين يبحثان في حقيقة الجزية الإسلامية وحقوق الذميين وواجباتهم في الإسلام ، وكتابيه القيِّمين «مكتبة الإسكندرية» و«نظرة على أورنك زيب عالمكير» اللذين يدحضان الافتراءات المتداولة لدى الخاصة والعامة ، ويكشفان اللثام عن الحقائق التاريخية الناصعة[1] ، إن هذه الكتب من أعلى نماذج كتابة التاريخ والنقد العلمي ، والدراسة التحليلية.

ثم يأتي بعد ذلك دور العلامة السيد سليمان الندوي أنبغ تلاميذ العلامة شبلي النعماني ومن كبار أبناء ندوة العلماء ونوابغها ، فيضع كتاب «أرض القرآن» وهو أول كتاب في لغة شرقية إسلامية على جغرافية أرض النبوات وعهد القرآن ، بحث فيه عن تاريخ العرب وغزواتهم قبل الإسلام وموجات الهجرة من الجزيرة العربية وإليها ، وعن ألسنتهم وأديانهم وتجارتهم وطرق حضارتهم ، ألفه سنة ١٩١٥ م وقد استفاد فيه من المصادر الأجنبية في توسع ، وكتاب «عرب وهندكي تعلقات» (الصلات بين العرب والهند) و«عربون كي جهاز راني» (الملاحة عند العرب) و«خيام» الكتب التي هي وليدة بحث دقيق ، ودراسة موسعة وغوص في أغوار المكتبة الإسلامية الغنية الزاخرة ، وشغف منقطع النظير بالعلم والبحث ، والاطلاع والاستفادة ، والتوسع والتعمق في المعلومات وعلى ذلك فهي تمثل النمط العلمي والأدب العالي الذي يحق للغة الأردية ، وللجيل الجديد ، أن يفتخرا به.

إن «عمر الخيام» كان مفخرة إيران ، ومن نوابغ شعرائها ، وكبار علماء العلوم الرياضية فيها ، ولكنها ـ إيران ـ لا تستطيع أن تقدم كتاباً يضارع هذا الكتاب ـ في قليل أو كثير ـ في إزاحة اللثام عن جوانب عظمة هذا النابغة ، ومآثره العلمية ، وفي الدراسة المضنية التاريخية الموضوعية.

---

(١) كان التاريخ قد أصبح في أواخر القرن التاسع عشر وفي أوائل القرن العشرين بعد الاحتلال الأوربي في الأقطار الإسلامية ، مدخلاً واسعاً للشبهات حول الإسلام وحضارته ونظام حكمه ومعاملته لمن كان تحت حكمهم ، وكان لا بد من العناية بعرض التاريخ الصحيح ودحض الشبهات ، ونفي الافتراءات.

أما كتابه «خطبات مدراس» الذي نقل إلى اللغة العربية باسم «الرسالة المحمدية»(١) فهو من أقوى ما كتب في السيرة النبوية والرسالة المحمدية، وأكثره تركيزاً وأغزره مادة، وأشده تأثيراً، وكذلك كتابه «سيرة عائشة» من أحسن ما كتب في هذا الموضوع، وفي سيرة الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين رضي الله عنها.

وقد فاق العلامة السيد سليمان الندوي أستاذه أحياناً في سعة الدراسة، والاطلاع على المصادر الحديثية والفقهية، والتزام ما عليه الجمهور من أهل السنة من المسلك في المسائل الخلافية والكلامية، ولكل درجات، وقد التفت حول العلامة السيد سليمان الندوي ـ روح هذه المؤسسة العظيمة وقطبها ـ مجموعة من الكتاب الإسلاميين، والمؤرخين الباحثين، أكثرهم من متخرجي دار العلوم ندوة العلماء التي كانت ولا تزال تمد هذ المؤسسة بأبنائها النجباء، نكتفي هنا في هذه العجالة بذكر الكاتب القدير البحاثة الشيخ عبد السلام الندوي(٢) صاحب كتاب «أسوة صحابة» الذي تُلُقِّي بالقبول في الأوساط الدينية العلمية و«شعر الهند» و«حكماء الإسلام» وغيره من الكتب، والعالم الجليل الشيخ عبد الباري الندوي أستاذ الفلسفة في الجامعة العثمانية بحيدر آباد، صاحب البحث القيم في المعجزات النبوية من زاوية الفلسفة الحديثية والعلوم العقلية، المدرج في الجزء الثالث من سيرة النبي ﷺ، وكتابَيْ «بين الدين والعقل»(٣) و«بين الدين والعلم»(٤)، والأستاذ الفاضل الحاج معين الدين الندوي،

---

(١) نقله الأستاذ محمد ناظم الندوي إلى العربية، وصدرت له عدة طبعات في العواصم العربية. وطُبع أخيراً في دار ابن كثير بدمشق منقحاً مع تعليقات سيد عبد الماجد الغوري.

(٢) يعتبره كثير من النقاد أشبه تلاميذ العلامة شبلي بأستاذه في الأسلوب والبيان واللغة.

(٣) اسمه في الأردية «مذهب وعقليات» وقد نقله إلى العربية الأستاذ واضح رشيد الندوي بعنوان «بين الدين والعقل».

(٤) اسمه في الأردية «مذهب وسائنس» نشره المجمع الإسلامي العلمي، في ندوة العلماء.

والكاتب الأديب الناقد والمؤرخ الفاضل الشيخ معين الدين أحمد الندوي ، والأستاذ الباحث السيد رياست علي الندوي ، والأستاذ السيد نجيب أشرف الندوي ، والشيخ سعيد الأنصاري ، والشيخ عبد السلام القدوائي الندوي ، والأستاذ مجيب الله الندوي ، والأستاذ ضياء الدين الإصلاحي ، وأخيراً لا آخراً المؤرخ الأديب والكاتب الكبير السيد صباح الدين عبد الرحمن مدير دار المصنفين حالياً ، ورئيس تحرير مجلة «المعارف» التي كانت ولا تزال تعتبر أرقى المجلات العلمية التي يصدرها مجمع علمي في شبه القارة الهندية ، وللبحوث والمقالات التي تنشر في هذه المجلة قيمة كبيرة في الأوساط العلمية.

نـدوة المصنفيـن في دلهـي:

وقد قام بعد دار المصنفين (التي قامت سنة ١٩١٤ م) مجمع علمي آخر باسم «ندوة المصنفين» في دلهي ، مُنْشِئُها ومديرها سماحة الشيخ المفتي عتيق الرحمن العثماني ، وقد نشأت عام ١٩٣٨ م ، كان من أصحاب فكرتها والذين يرجع إليهم الفضل في نشوئها الزعيم المسلم المجاهد المرحوم الشيخ حفظ الرحمن سكرتير جمعية العلماء سابقاً ، وهي تصدر مجلة علمية شهرية هي مجلة «برهان» يرأس تحريرها فضيلة الأستاذ سعيد أحمد الأكبر آبادي ، ولها مطبوعات قيمة حازت القبول والتقدير في الأوساط الإسلامية العلمية ، وقد تجاوزت منشوراتها مئة كتاب في علوم القرآن والحديث والسنة، والأخلاق والتربية، ونظام الإسلام السياسي والاقتصادي، وتاريخ البلاد، وتاريخ الفقه، وتاريخ التصوف الإسلامي وأئمته ورجالاته في الهند(١) ، وفي التراجم والسير، يعتبر عدد منها فريداً في موضوعه ، وذا قيمة علمية وتحقيقية كبيرة.

---

(١) من أهمها كتاب «ترجمان السنة» في أربعة أجزاء ، للعالم الكبير الشيخ بدر عالم الميرتي نزيل المدينة المنورة ودفينها ، «وقصص القرآن» للشيخ حفظ الرحمن ، و«الرق في الإسلام» ، «صديق أكبر» للأستاذ سعيد أحمد الأكبر آبادي ، و«تاريخ مشايخ جشت» للأستاذ خليق أحمد نظامي.

كتّاب وباحثون آخرون:

وقد لمعت أسماء بعض المؤلفين الباحثين خارج هاتين المؤسستين العلميتين الكبيرتين ، وصدرت لهم كتب ذات قيمة كبيرة في موضوعها من أشهرها مولانا أبو الكلام آزاد الزعيم المسلم المشهور ووزير التربية الأسبق في الجمهورية الهندية ، صاحب ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الأردية المعروفة بـ«ترجمان القرآن» مع تعليقات ذات قيمة علمية وأدبية وبعض بحوث مبتكرة ، والكتاب رغم أنه لم يكمل قد أثر في الطبقة المثقفة تأثيراً قوياً ، وقربه إلى دراسة القرآن والاعتراف بإعجازه ، وذلك لمستوى الكتاب الأدبي الرفيع ، والأسلوب البليغ القوي ، والعلامة السيد مناظر أحسن الكيلاني صاحب كتاب «النبي الخاتم» و«تدوين الحديث» و«نظامنا التربوي القديم» و«نظام الاقتصاد الإسلامي» و«حياة الإمام أبي حنيفة السياسية» وغيرها ، والأستاذ عبد الماجد الدريا آبادي ، صاحب محاضرات وبحوث في القرآن وكتاب «التصوف الإسلامي» والعلامة عبد الرؤوف الدانافوري صاحب كتاب «أصح السير» و«الإسلام والقضايا المدنية» والأستاذ الكبير السيد أبو الأعلى المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية في الهند صاحب كتاب «الجهاد في الإسلام» الذي أصدرت طبعته الأولى «دار المصنفين» سنة ١٩٣٠ م وكتاب «الحجاب في الإسلام» ومسألة الربا ، ومجموع مقالات في نقد الحضارة الغربية وقيمها ومثلها ، المعروف «بتنقيحت» ، ومجموع مقالات أخرى في موضوعات إسلامية المعروف «بتفهيمات» وتفسير «تفهيم القرآن» تتميز كتاباته العلمية بإيثار طريقة الهجوم على طريقة الدفاع والاعتذار ، وكان رغم اختلافنا عن بعض وجهات النظر وبعض الملاحظات ، الاختلاف الذي يتسع مجاله مع كل عالم وباحث وفي كل عصر ومصر[١] ، لا بد من الإشارة إلى أنه كان لبحوثه العلمية الأولى التي

---

(١) ليراجع كتاب العلامة الندوي «التفسير السياسي للإسلام» طبع الهند ومصر.

تكلم فيها عن مستوى عال وفي أسلوب قوي ، ولمقالاته ورسائله في مشكلات العصر ، وحلولها الإسلامية ، دوي في الأوساط الإسلامية التي كانت تعاني قلقاً فكرياً ، وكانت في دور انتقال ، وكان لها فضل في إعادة الثقة في الطبقة المثقفة بجدارة الإسلام ، وفضله ، والحاجة إليه ، والأستاذ سعيد أحمد الأكبر آبادي صاحب كتب «الرق في الإسلام» و«الصديق الأكبر» وغيرهما من المؤلفات ، والبروفيسور خليق أحمد النظامي رئيس قسم التاريخ في جامعة علي كره ، والدكتور نذير أحمد رئيس القسم الفارسي في تلك الجامعة، والأستاذ ضياء الحسن الفاروقي، والدكتور نجاة الله الصديقي، وهناك كتاب ناهضون لهم مستقبل زاهر في عالم التأليف والبحث ، لا يتسع هذا المجال لذكرهم ، فليس هذا المقال المستعجل الذي يسطر على تشتت بال وانشغال فكر ، دليلاً شاملاً لأسماء الكتَّاب والباحثين ، إنما هو تعريف موجز للنشاط العلمي والحركة التأليفية في الهند.

الدراسات الإسلامية في باكستان:

ومعذرة في ذكر الكتاب الإسلاميين المرموقين في البلد الشقيق الجار باكستان في تفصيل واستقصاء[1] ، فقد شمل الحديث عن شبه القارة الهندية هذا الجزء ، وإن لم يتسع المجال والوقت للتوسع ، فلا يسع التغاضي عن ذكر العلامة المرحوم محمد شفيع المشرف على دائرة المعارف الإسلامية الأردية ، الصادرة من جامعة بنجاب ، والدكتور اشتياق حسن قريشي وزير المعارف الأسبق ، والدكتور محمد رفيع الدين صاحب الكتاب القيم «القرآن والعلم الحديث»[2] ، والدكتور السيد عبد الله المشرف على دائرة المعارف

(١) وقد منعت الحواجز المصطنعة غير الطبيعية من الاطلاع الواسع والتتبع الدقيق للحركة العلمية والمؤسسات الفكرية والكتب والمجلات الصادرة في هذا القطر الإسلامي الكبير.

(٢) له كتابان مهمان بالإنجليزية أحدهما (Manifesto of Islam) وآخر (Ideology Of Future).

الإسلامية ، والأستاذ بزمي أنصاري ، والأستاذ محمد أسلم ، والشيخ عبد القدوس الهاشمي الندوي صاحب مؤلفات وبحوث كثيرة ، وفضيلة الشيخ محمد تقي العثماني صاحب المقدمة المنيرة المستفيضة على ترجمة كتاب «إظهار الحق» للعلامة الشيخ رحمة الله الكيرانوي ، والأستاذ عبد الحميد الصديقي ، والأستاذ مظهر الدين الصديقي والأستاذ خورشيد أحمد.

وقد نشأت بعد قيام باكستان مؤسستان للبحث الإسلامي العلمي ، والدراسات الإسلامية ، أولاهما مؤسسة الثقافة الإسلامية في لاهور والثانية مجمع البحوث الإسلامية في إسلام آباد ، (Islamic Researsh Institute Islamabad) التابع للجامعة الإسلامية في إسلام آباد ، يرأسه الآن الدكتور عبد الواحد هالي بوتا ، وتصدر هذه المؤسسة مجلة في اللغة العربية باسم «الدراسات الإسلامية» ومجلة في أردو باسم «فكر ونظر».

تفوق خريجي المدرسة القديمة في البحث والإنتاج العلمي:

حقيقة تاريخية أن علماء الهند الذين درسوا العلم على الطريقة القديمة ، لم يتخلفوا عن ركب العلم والبحث والتحقيق فترة قصيرة من الزمن - بالعكس من عديد من الدول الإسلامية - ولم تنقطع صلتهم بلغات بلادهم وآدابها ، كما حدث في كثير من الدول الإسلامية والدول العربية ، فظلوا يؤدُّون دوراً قيادياً في المجالات العلمية والأدبية ، بجانب القيام بالدور الطليعي في مجال السياسة وحركة تحرير البلاد ، وخلفوا مآثر في الأدب والنقد والشعر ، تنطق بذوقهم الأدبي الفائق ، وبتذوقهم للغة وآدابها ، واقتدارهم على النقد الأدبي ، مهما أسماها بعض من هب ودب بمحاولات بدائية ، ولكنها في الواقع كمعالم في الطريق «فمقدمة شعر وشاعري» و«يادكار غالب» لمؤلفهما الشيخ ألطاف حسين الملقب في الشعر «حالي» و«موازنة أنيس ودبير»[1] للعلامة شبلي النعماني ، وكذلك كتاب «كل رعنا»

---

(١) مقارنة بين شاعرين أردويين معاصرين متنافسين «أنيس» و«دبير».

لزميله العلامة السيد عبد الحي الحسني (رحمه الله) ـ أمين ندوة العلماء العام الأسبق ـ في تاريخ أردو وتراجم شعرائها ، و«ياد أيام» في تاريخ ولاية «كجرات» العلمي والثقافي ، والبنائي والاجتماعي ، والأخلاقي ، وتقدمها في ميدان التعليم والتربية والصناعات ، في عهدها الإسلامي الذهبي ، وفي تراجم علمائها ومشايخها وسلاطينها ، وهو نموذج مثالي رائع للكتابة في مثل هذا الموضوع يجب أن يتبعه الكتَّاب والمؤرخون في كتاباتهم العلمية والتاريخية ، وأودع المؤلف في كتابه «كُل رعنا» مباحث ونظريات طريفة ، وضع من خلالها الإصبع على أخطاء تاريخية ، وآراء شاذة متطرفة ، تضمنها كتاب «آب حياة» للكاتب الشهير محمد حسن آزاد الذي كان له سحر في الأوساط الأدبية ، شغل الناس عن التمحيص والتحليل والنقد الجريء ، و«شعر الهند» للأستاذ عبد السلام الندوي ، وكلها حلقات ذهبية في هذه السلسلة العلمية، ومهما تقدم العلم والنقد خطوات، ومهما تكثفت الجهود في هذا الموضوع، فإننا لن ننسى ما كان لهؤلاء المؤلفين والباحثين من الفضل في خدمة اللغة والأدب، وسوف نظل مدينين لجهودهم المخلصة في هذا المجال.

أفـراد يقومون بـدور المجامع العلميـة:

وقد قام بعض الأفراد في الهند وحدهم بما تقوم به المجامع العلمية ، بمكتباتها الغنية ، ووسائلها الوفيرة ، وجهازها التحريري والإداري الكبير ، من بحث وتحقيق ، وكتابة وتأليف ، وذلك كله في عزلة علمية مادية ، وزهادة في المعونات الحكومية ، وبعد عن الدعاية والشهرة ، وخمول وانزواء ، وإن دل ذلك على شيء ، فإنما يدل على أن البيئة العلمية والتربوية القديمة التي نشأ وعاش فيها هؤلاء المؤلفون كانت أقدر على بعث روح المثابرة والصبر والجلد ، والتضحية وتحمل العناء والمشاق ، من البيئة العلمية الحديثة والجامعات العصرية.

نخص بالذكر من هؤلاء العلماء والمؤلفين العلامة محمود حسن خان

التونكي (م ١٣٦٦ هـ) صاحب كتاب «معجم المصنفين» (في العربية) في نحو ستين ٦٠ مجلداً ، يحتوي على عشرين ألفاً من الصفحات وعلى تراجم أربعين ألفاً من المصنفين ، وقد ظهرت من الكتاب أربعة أجزاء على نفقة الحكومة الآصفية في حيدر آباد سنة ١٣٥٤ هـ من بيروت ، الجزء الأول في أمور عامة مفيدة كأبواب وفصول في تقييم العلم وفي أوائل ما ظهر من العلوم ، وفصول في ملل وأمم مختلفة بحسب عنايتها بالعلوم ، وباب خاص بالتدوين في الإسلام ، وأبواب في المؤلفين والمؤلفات على اختلاف طبقاتهم وأنواعها ، وفصول في مختلف العلوم والفنون ، ومن أكبر مزايا الكتاب شموله واحتواؤه ، يقول المؤلف في مقدمة الكتاب بعد ذكر «كشف الظنون» للجلبي وما استدرك عليه:

«فبذلك جاء كتابنا هذا شرحاً للكشف واستدراكاً عليه في باب المصنفات ، ولم آلو جهدي في الاستقصاء ، فبالغت في إحراز تراجم العلماء الذين صنفوا في العلوم التي تداولت في عهد الإسلام ، من العلوم الإسلامية وغيرها من مقولات الفلاسفة ، من العلماء الذين نشؤوا في بلاد العرب والعجم ، والعراق ، ومصر ، والأندلس ، والروم ، وخراسان ، وما وراء النهر ، والسند ، والهند ، وما وراء ذلك ، ولا أقول إني أوعبت العلماء كلهم في الكتاب ، وإنه لا يغادر صغيراً ولا كبيراً من أهل التأليف إلا أحصاه بل ذلك خارج عن طوق البشر»[١].

ويدل على استيعاب الكتاب أن عدد من جاء ممن اسمه إبراهيم يبلغ إلى ٣٤٨ اسماً ، ومع الأسف بقي هذا الكنز الثمين دفيناً في إحدى المكتبات الخطية في حيدر آباد ، لأن الأعمال في الشرق الإسلامي ـ مع الأسف ـ ليست بقيمتها العلمية ، وعناء المؤلفين فيها ، وحاجة المشتغلين بالعلم إليها ، بل بالدعاية ووسائل النشر ، وتبني المؤسسات والحكومات لها.

---

(١) المجلد الأول ص ٢٩.

والعلامة السيد عبد الحي الحسني (م ١٣٤١ هـ) صاحب «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»[١] في ثمانية مجلدات تحتوي على أكثر من أربعة آلاف وخمسمئة ٤٥٠٠ ترجمة من أعيان الهند ورجالاتها ، من القرن الإسلامي الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري ، وهو الكتاب الذي عليه الاعتماد في الشرق والغرب فيما يتصل بتراجم رجال الهند وأخبارهم ، والكتاب يغطي المساحة الزمنية الممتدة من القرن الإسلامي الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري ، والمساحة المكانية الممتدة من مضيق خيبر إلى خليج بنغال ، وتلك ميزة لا يشاركه فيها كتاب في الطبقات والتراجم ألف في قطر من الأقطار الإسلامية والعربية[٢] ، هذا عدا ما التزمه المؤلف من التحري للدقة والأمانة العلمية ، وحسن الاختيار والتلخيص ، وتحديد اختصاص صاحب الترجمة وطبقته ، وكتاب «الثقافة الإسلامية في الهند»[٣] الذي هو كدليل شامل كامل لمؤلفات علماء الهند في الفنون الإسلامية والأدبية والحكمية ، وتاريخ الحركة العلمية وتطورها ونموها ، والمناهج الدراسية وما طرأ عليها من تقلبات في مختلف العهود مع بيان أسبابها وخلفياتها ، ولا نعرف بلداً إسلامياً أرخ المنهج الدراسي فيه والمقررات الدراسية ، هذا التاريخ المتصل مع بيان عوامله وأسبابه ، وكتاب «الهند في العهد الإسلامي»[٤] الذي هو حلقة ذهبية من سلسلة كتب الخطط والآثار لمختلف

(١) صدرت للكتاب طبعتان من دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد (الهند). طُبع أخيراً في دار ابن حزم ببيروت في ثلاث مجلدات ضخمة.

(٢) فجميع هذه الكتب المؤلفة في الطبقات والتراجم خارج الهند تختص بقرون مخصوصة أو ولايات مخصوصة ، أو طبقات معينة كالمحدثين والفقهاء أو النحاة أو الأطباء وغيرهم ، بخلاف هذا الكتاب فإنه يشمل جميع الطبقات من أهل النباهة والشأن.

(٣) قام بنشره المجمع العلمي بدمشق (سنة ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٨ م) وقد نفدت هذه الطبعة ، وصدرت الطبعة الثانية مع ذيول الكتاب وتتمة من مجمع اللغة العربية في دمشق.

(٤) قام بنشره دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد.

البلاد والأمصار، وفصل واحد منه يتضمن ما انتشر في مكتبة، وصفحة واحدة تقوم بكتاب كبير.

ويدخل في هذا الطراز من المؤلفين العلامة حميد الدين الفراهي المعروف بالمعلم عبد الحميد الفراهي (م ١٣٤٩ هـ) الذي هو صاحب منهج خاص في التفسير يعنى بنسق الآيات وربطها بصفة خاصة، له نظام الفرقان، وهو صاحب كتاب «الإمعان في أقسام القرآن» و«الرأي الصحيح في من هو الذبيح» وهو خير ما ألف في هذا الموضوع.

وكذلك العلامة عبد العزيز الميمني (م ١٣٩٨ هـ) الراجكوتي صاحب «أبو العلاء وما إليه»[١] وهو أحسن كتاب في الموضوع تحقيقاً ودقة وعمقاً، وكتاب «سمط اللآلي»[٢]، وكان المرحوم أحد أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق، وجماعة تصحيح لسان العرب لابن منظور.

ومن علماء الهند البارزين الذي قاموا بدور العمل المجمعي الموسوعي فردياً في علم الحديث العلامة عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، الأعظم كرهي (م ١٣٥٣ هـ) صاحب «تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي» في ثلاثة مجلدات كبار، وجزء مفرد بالمقدمة، يدل على علو كعبه في معرفة أسماء الرجال وفن الجرح والتعديل، وطبقات المحدثين وتخريج الأحاديث.

والشيخ العلامة المحدث محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي السهارنفوري (المهاجر إلى المدينة المنورة) ويكفي دلالة على سعة نظره ومدى عنائه في البحث والتحقيق كتابه «أوجز المسالك إلى موطأ مالك» في

---

(١) نشرته دار المصنفين في أعظم كره في سلسلة مطبوعاتها وطبع المطبعة السلفية ـ القاهرة سنة ١٣٤٤ هـ، وفي الكتاب تقريظ وآراء بقلم العلامة أحمد تيمور، والشيخ أحمد الإسكندري، والشيخ عبد الوهاب النجار، والعلامة أحمد محمد شاكر.

(٢) نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر في مصر سنة ١٩٣٦ م في ثلاثة مجلدات كبار.

ستة أجزاء كبار ، ومقدمته على هذا الكتاب ، وعلى كتاب «لامع الدراري على جامع البخاري» موسوعتان صغيرتان فيما يتصل بهذين الكتابين الجليلين ومؤلفيهما العظيمين ، وبحوث مفيدة في أصول الحديث وأسماء الرجال ، ومعلومات قيمة عن الأئمة الأربعة ومذاهبهم ، وفيما يختص بالهند وأخبار كبار الأساتذة والمحدثين فيها ، وكذلك كتابه «حجة الوداع وعمرات النبي ﷺ» يمتاز باستيعاب شامل واستقصاء كامل في هذا الموضوع.

ومنهم المحدث الكبير الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، وقد تجلى اختصاصه في علم الحديث وأسماء الرجال ، وتبصره في علوم الحديث ودقة نظره في إخراجه المصنف الحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني (م ٢١١ هـ)[١] ، وقد أفرد جزءاً خاصاً بمقدمة هذا الكتاب ، وقد عني قبل هذا بتحقيق مسند الحميدي وسنن سعيد بن منصور[٢].

وكتاب «حياة الصحابة» في ثلاثة مجلدات كبار للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (أمير جماعة التبليغ) (م ١٣٨٤ هـ) يكاد يكون موسوعة في حياة الصحابة وسيرتهم الإيمانية والدعوية والخلقية والسلوكية ، ومن أجمع ما كتب في الموضوع وأكثره احتواءً وتنوعاً[٣].

دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد:

ومن المؤسسات العلمية الكبيرة التي كان لها فضل كبير في إحياء الكتب

---

(١) قام بنشره وطبعه في بيروت المجلس العلمي الذي له مكاتب في سملك دابهيل الهند ، وكراتشي ، وجوهانس برغ ، وقد أنشأه الشيخ محمد ميان السملكي الهندي ، المقيم في جوهانس برغ (م ١٣٨٢ هـ).

(٢) وقد حقق «كتاب الزهد والرقائق» للإمام عبد الله بن مبارك المروزي ، و«كشف الأستار عن زوائد البزار» على الكتب الستة تأليف الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر العسقلاني.

(٣) صدرت الطبعة الأولى من مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد ، والطبعات التالية من دمشق وغيرها. وصدرت له أخيراً طبعة فاخرة من دار ابن كثير بدمشق في أربع مجلدات ضخمة بتحقيق دقيق وشرح وافٍ لفضيلة الشيخ محمد إلياس الباره بنكوي.

الدينية والعلمية ، وبعثها من مدافنها في المكتبات العتيقة ، ونشرها بتصحيح وتحقيق في العالم الإسلامي ، دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد التي تأسست عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) بتوجيه العلامة السيد حسين البلكرامي ، ومولانا عبد القيوم ، ومولانا أنوار الله خان أستاذ سمو «النظام» ، وقد نشرت أكثر من مئة وخمسين كتاباً قيماً من كتب الحديث وأسماء الرجال والتاريخ والعلوم الرياضية والحكمية ، حرمها العالم الإسلامي والأوساط العلمية من عهد بعيد ، وتسامع بها العلماء والمدرسون ، فكانت خدمة جليلة للعلم والدين وبرهاناً على ما كان ـ ولا يزال ـ للمسلمين الهنود من اتصال روحي وفكري بالثقافة الإسلامية وحب عميق لها ، وقد اعترف بجهود هذه المؤسسة العظيمة وجلالة عملها وقيمة ما تنشره من التراث العلمي كبار العلماء ورجال الثقافة في الشرق وأوربة(١) .

العمل التأليفي والتحقيقي في اللغة العربية في العالم العربي :

أما في اللغة العربية التي هي اللغة العلمية العالمية للعالم الإسلامي ، وأَوْلى اللغات بأن تتم فيها الدراسات الإسلامية ، والبحوث العلمية ، على مستوى أعلى وإطار أوسع ، فقد ظهرت فيها في العالم العربي مؤلفات وبحوث إن لم تكن جديرة بسعة هذه اللغة ، وسعة العالم العربي وأهميته كماً وعدداً ، فإنها لا شك تعتبر نماذج للبحث العلمي ، وغزارة المادة وحسن التحليل ، تأتي في طليعة هذه الكتب سلسلة «فجر الإسلام» و«ضحى الإسلام» للدكتور أحمد أمين بك ، على ما فيها من مآخذ وملاحظات ، وفي

---

(١) من أهم مطبوعاتها مسند أبي داود الطيالسي ، والسنن الكبرى للبيهقي ، والمستدرك للإمام الحاكم ومعرفة علم الحديث للحاكم في الحديث وعلومه ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ، وتهذيب التهذيب لابن حجر في علم الرجال ، والتاريخ الكبير للإمام البخاري والمنتظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي ، في التاريخ ، وكتاب البيروني في تحقيق ما للهند ، والإكمال لابن ماكولا ، والأزمنة والأمكنة لأبي علي المرزوق في علوم مختلفة.

بعض آراء المؤلف شذوذ ومجال للنقاش[1] ، وقد سجلت تعليقاتي عليها أثناء دراستي لها ، وأخبرت بذلك المؤلف الفاضل في أول لقاءاتي له في القاهرة في يناير ١٩٥١ م ، فأحب الاطلاع عليها والاحتفاظ بنسختي ، ولكن مما لا شك فيه أن هذه الكتب نموذج لجمع المواد المبعثرة في المصادر القديمة وتحليلها العلمي والاستنتاج منها ، وعرض التاريخ الإسلامي في الأسلوب العصري الذي لا تتفوق عليه كتابات كبار المستشرقين ، هذا مع مجاراة الطبع والرواء ، وعدم التكلف وحسن الإنشاء وجمال العرض.

ويلحق بذلك كتابات أمير البيان شكيب أرسلان وتعليقاته ، خصوصاً كتابه الجليل «الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية»[2] (١ ـ ١٠) وحواشيه على كتاب «حاضر العالم الإسلامي» في أربعة أجزاء ، والكتاب من تأليف (Lothrop Stoddard) وترجمة الأستاذ عجاج نويهض ، فالأول موسوعة صغيرة فيما يتعلق بالأندلس الإسلامي ، والثاني موسوعة في واقع العالم الإسلامي ورجالاته وحركاته وبلاده ، وقد جاء فيه نقد بصير للمستشرقين والمؤرخين الأوربيين ، ودراسات قيمة عن الحضارة الإسلامية ، والحركة العلمية فيها ومعلومات وثيقة عن الدولة العثمانية وما كان يتخللها من نزعات وحركات متناقضة ، وعن فتوح العرب والفتوحات الإسلامية في مختلف البلاد ، وعن تاريخ الاحتلال الأجنبي في مختلف البلاد الإسلامية والحركات المناوئة له ، وعن النهضة الإسلامية في القارات المختلفة ، ومقالات وبحوث مفيدة في الدفاع عن الإسلام ، ودحض الأباطيل ، وكتاب «غزوات العرب في فرنسة وشمالي إيطالية وفي سويسرة».

وكان كتاب «الأعلام» للأستاذ خير الدين الزركلي (في اثني عشر (١٢) مجلداً من أصل الكتاب ومستدركه ومجموع خطوط وصور) معجماً في سير

---

(١) ليرجع إلى كتاب «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص ٢٨١ ـ ٣٠٢.
(٢) طبعت منه ثلاثة أجزاء.

الأفراد وقاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب ، والمستعربين والمستشرقين ، والكتاب عمل موسوعي مجمعي يشكر مؤلفه عليه ويعترف بمجهوده الفردي ، وقد ظهرت براعة المؤلف في الاطلاع الواسع والاحتواء الكبير وفي حسن التلخيص والاقتباس وتوفير الوقت والمجهود على المؤلفين والباحثين.

وكذلك مؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد ، والأستاذ محمد كرد علي ، فإنها تمتاز بالعمق وسعة الدراسة والثقافة ، والاطلاع على المصادر الأجنبية ، وكتب العقاد في العبقريات ، وكتابه «المرأة في القرآن» و«أثر العرب في الحضارة الأوربية» و«حقائق الإسلام وأباطيل خصومه» وغير ذلك من المؤلفات والبحوث ، وكتاب الأستاذ محمد كرد علي «الإسلام والحضارة العربية» ، وكتابه «خطط الشام» مثال للكتابة العلمية والعمل المجمعي الموسوعي.

كذلك كتاب «تاريخ العرب قبل الإسلام» للدكتور جواد علي وكتاب «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين عمل مجمعي يستحق التقدير ، مع الاحتفاظ ببعض الملاحظات والنقد الذي هو حق الباحثين وطلاب العلم في كل عصر ، وكتب اللواء الركن محمود شيت خطاب في الغزوات والفتوح الإسلامية بعنوان قادة الفتح الإسلامي ، و«الرسول القائد» كتب ذات قيمة علمية تاريخية وعسكرية ، ومادة غزيرة من المعلومات والدراسات.

ولا ينسى في هذا الصدد المشروع العلمي الكبير والمخطط الواسع النافع الذي يقوم به صديقنا الأستاذ أنور الجندي وحده وهو «موسوعة مقدمات العلوم والمناهج» المجلد الأول منه خاص بالفكر الإسلامي ، والمجلد الثاني في تاريخ الإسلام ، والمجلد الثالث في العالم الإسلامي المعاصر ، والرابع في اللغة والأدب والثقافة ، وقد صدرت هذه المجلدات الأربعة ، أما الخامس ففي التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة ، والسادس في

المجمع الإسلامي ، والسابع في الحضارة والعلم والعلوم الاجتماعية ، والثامن في الإسلام وموقفه من الفلسفات والأديان ، والتاسع في الشبهات والأخطاء الشائعة ، والعاشر في حركة اليقظة الإسلامية ، ولو تم هذا العمل وصدر الكتاب بجميع أجزائه كانت موسوعة كبيرة فيما يتصل بالإسلام والمسلمين ، ومكتبة غنية في العلوم والآداب الإسلامية .

ويلحق بكتاب الأعلام للزركلي ، وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ، كتاب «معجم المؤلفين» (تراجم مصنفي الكتب العربية) تأليف عمر رضا كحالة ، في خمسة عشر جزءاً ، وإن كان ينقصها أسماء كثير من المؤلفين المعاصرين ، ولكنه مجهود يستحق التقدير والشكر[١] .

أما في الموضوعات الدينية الشرعية فكتب العلامة محمد أبي زهرة في مؤسسي المدارس الفقهية والعقائدية في الإسلام ، وفي تاريخ الفرق الإسلامية وعقائدها ، وكتاب صديقنا المجاهد الداعية الدكتور مصطفى السباعي «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» وهو أفضل ما كتب في الموضوع وأجمعه ، وكذلك كتابه «المرأة بين الفقه والقانون» ، وكذلك كتاب زميله وصديقنا الأستاذ مصطفى أحمد الزرقاء «المدخل الفقهي العام» مجهود علمي كبير يسد حاجة الأقطار الإسلامية التي يعنيها تطبيق الشريعة الإسلامية والقانون الإسلامي المدني ، وكذلك كتاب «التشريع الجنائي الإسلامي ، مقارناً بالقانون الوضعي» للأستاذ عبد القادر عودة الشهيد ، عمل علمي تحقيقي وإنتاج حقوقي كبير.

كذلك عمل الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي والد الإمام الشهيد حسن البنا في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل على الأبواب الفقهية وتحقيقه ، عمل جليل تاريخي ، وهو المسمى بـ«الفتح الرباني لترتيب مسند

---

(١) ألف الكتاب في ١٣٧٦ هـ (١٩٥٧ م) ونشرته مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي.

الإمام أحمد بن حنبل الشيباني»[1] وكذلك عمل العلامة أحمد محمد شاكر في هذا الموضوع نفسه عمل فردي شاق ينوء بالعصبة أولي القوة[2].

دراسات إسلامية عميقة ومقارنة:

قد ظهر في هذه الفترة كتاب دل على سعة دراسة عالم ديني فقيه وعمق نظره في الفلسفة القديمة والحديثة، واطلاعه الواسع الدقيق على ما وصل إليه علم الحديث، ـ من الفيزياء والفلك ـ وحسن عرضه للعقيدة الإسلامية وإثباتها بالدلائل العلمية، في إطار قصة شائقة، وهو كتاب «قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن» للشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس، ولبنان الشمالي[3].

وكذلك كتابان للعالم العراقي الأستاذ محمد باقر الصدر يتسمان بعمق الدراسات المقارنة، والاطلاع الواسع ودقة النظر في الفلسفات والنظم المعاصرة، وهما كتاب «اقتصادنا» في جزئين، الجزء الأول في دراسة موضوعية للمذاهب الاقتصادية، والجزء الثاني في محاولة لاستنباط المذهب الاقتصادي في الإسلام، والكتاب الثاني «فلسفتنا» وهي دراسة موضوعية في معترك الصراع الفكري القائم، ومن البديهي أنه لا يستلزم هذا الاعتراف الموافقة الكلية على ما جاء في هذين الكتابين.

ويأتي بعد ذلك دور كتابات الأستاذ سيد قطب الشهيد، في مقدمتها

---

(١) مع الأسف لم يكمل هذا العمل، وقد صدر من هذا الكتاب العظيم اثنان وعشرون (٢٢) جزءاً، ومع الكتاب بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، صدر من مطبعة الإخوان المسلمين.

(٢) خرج العلامة أحمد محمد شاكر أحاديث الكتاب ورقمها وجعل له فهارس للموضوعات وعلق تعليقات قيمة، وقد طبع من الكتاب خمسة عشر جزءاً، واخترمته المنية قبل أن يتمه رحمه الله.

(٣) وهو ابن الشيخ حسين الجسر صاحب «الحصون الحميدية» الكتاب الذي ملأ فراغاً في الحلقات الدراسية والمدرسية القديمة، وسد حاجة من حاجاتها العلمية والتعليمية كذلك «الرسالة الحميدية».

كتاب «العدالة الاجتماعية في الإسلام»[1] ومؤلفات أخيه محمد قطب ككتابه «شبهات حول الإسلام» وكتبه في التربية الإسلامية وعلم النفس، وكتاب الدكتور محمد البهي «الفكر الإسلامي الحديث» وكتاب الأستاذ محمد المبارك ـ الذي فقده العالم العربي والدعوة الإسلامية حديثاً ـ «في الفكر الإسلامي الحديث» وكتاب «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» و«حصوننا مهددة» للدكتور محمد محمد حسين أما كتاب صديقنا الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي «فقه الزكاة» فهو عمل موسوعي كبير وأجمع كتاب في هذا الموضوع وقد نقل إلى اللغة الأردية.

كتَّاب الدعوة ودعاة الفكرة الإسلامية:

قد خصصنا بحثنا هذا بالكتب والبحوث التي تتناول الموضوعات التي كانت تعتبر من خصائص المستشرقين ومجالات تأليفهم وتمتاز بالاتجاه الموسوعي الأكاديمي والدراسات المقارنة، والاستفادة من المصادر الأجنبية، وإلا فقد نشأت نهضة أدبية وتأليفية قوية بتأثير حركة «الإخوان المسلمون» الكبرى في مصر وانتقل الأدب والكتابة والتأليف من دائرة البحث والتحقيق، المقصورة على العلماء والدارسين إلى دائرة شعبية أوسع، ونبغ كتاب ومؤلفون يخاطبون الجمهور ويحركون العاطفة والإيمان ودوافع العمل الباطنية، وتمس كتاباتهم القلوب كما أنها تغذي العقول، كان في مقدمتهم وعلى رأسهم الأستاذ سيد قطب والشيخ محمد الغزالي، والأستاذ سيد سابق (صاحب كتاب «فقه السنة» الكبير)، والأديب الكبير الأستاذ علي الطنطاوي وغيرهم، واستعراض هؤلاء الكتاب وكتاباتهم الإسلامية الدعوية من

---

(١) مع تقدير الكاتب للكتاب وصلة الصداقة والحب بالكاتب، لا يوافق كاتب هذه السطور على كل ما جاء في الكتاب عن ثالث الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وعلى كل ما جاء في نقد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، والعصمة لله وحده. (العلامة الندوي).

موضوع مؤرخي الفكرة الإسلامية ، والدعوة الإسلامية ، ومجال البحث واسع يحتاج إلى كتاب مستقل[١] .

البحث والتحقيق في الجزيرة العربية :

وقد عاشت الجزيرة العربية فترة من الزمن في عزلة عن حركة البحث والتحقيق التي نشطت ، وتوسعت في مصر والشام بصفة خاصة ، بفضل المجامع العلمية (الأكاديميات) والجامعات الكبيرة الكثيرة ، والمجلات العلمية الراقية ، إلا أنها بدأت رحلتها في عهد الحكومة السعودية أخيراً ، وظهرت كتابات وبحوث وتأليفات تمتاز بالروح التحقيقية ، ويتسم بعضها بالطابع الموسوعي الأكاديمي ، تظهر نماذجه في بحوث الأستاذ حمد الجاسر الجغرافية التحقيقية[٢] ، وبحوث الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في اللغة والمعاجم[٣] ، والشيخ عبد القدوس الأنصاري في الخطط والآثار[٤] ، والأستاذ محمد أحمد باشميل في سلسلة من معارك الإسلام الفاصلة والغزوات النبوية الشهيرة[٥] .

هذا عدا كتابات وكتب في موضوع الفقه والتشريع الإسلامي ، والحديث

---

(١) نشرت مجلة «البعث الإسلامي» الصادرة من ندوة العلماء لكهنؤ ، الهند ، سلسلة مقالات للأستاذ واضح رشيد الندوي ، عنوانها «أدب الصحوة الإسلامية» وهي تدخل في هذا الموضوع ، («البعث الإسلامي» الأعداد الثامن والتاسع والعاشر من المجلد السادس والعشرين ، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م).

(٢) صاحب الكتابين «في سراة غامد وزهران» و«في شكال غرب الجزيرة» وهو صاحب الإسهام في «الموسوعة الجغرافية لجزيرة العرب» صدر منه خمسة عشر مجلداً ، وكلها من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض.

(٣) ككتابه «الصحاح ومدارس المعجمات العربية» ، وتحقيقه لتهذيب الصحاح للزنجاني ، والصحاح للجوهري ، ومقدمة تهذيب اللغة للأزهري.

(٤) ككتابه «آثار المدينة المنورة» و«مدينة جدة».

(٥) صدرت منها عشرة أجزاء وهي غزوة بدر الكبرى ، غزوة أحد ، غزوة الأحزاب ، غزوة بني قريظة ، صلح الحديبية ، غزوة خيبر ، غزوة مؤتة ، فتح مكة ، غزوة حنين ، غزوة تبوك.

والتفسير ، وبعض القضايا الإسلامية المعاصرة ، وقائمة أسماء العاملين في هذا المجال تطول ، وأخشى أن تفوتني في هذه الفرصة القصيرة أسماء تستحق التنويه.

وقد ساقت الظروف القاسية والأوضاع السياسية المتقلبة في مراكز الثقافة الإسلامية العربية الكبرى في الشرق العربي ، أقوى العناصر العلمية وخيرة الأساتذة والباحثين الإسلاميين إلى المملكة العربية السعودية ، وإلى الكويت ، وقطر ، والإمارات العربية المتحدة ، وإلى لبنان ، والأردن أحياناً ، فكان في ذلك مكسب لهذه الأقطار التي كانت تستورد البضاعة العلمية في الغالب ، ولا تصدرها ، وعينوا أساتذة في جامعاتها ، فنشطت حركة البحث والتأليف ، وإعداد البحوث والرسائل العلمية ، خصوصاً في جامعات المملكة الست[1] وفي جامعة الكويت ، وجامعة قطر في الدوحة ، وجامعة العين في الإمارات ، وظهرت بحوث ورسائل تتفاوت في قيمتها العلمية ، وتختلف مستوياتها ، ولكنها تعود على المكتبة العربية بفوائد وتثريها ، وقائمة هؤلاء الأساتذة المهاجرين أو اللاجئين ، أو الزائرين طويلة ، ولكنها مشرفة لهذه الجامعات ، ومصدر خير كثير.

رسائل الدكتوراه والبحوث الجامعية:

وكان لنظام رسائل الدكتوراه الجامعية ، والبحوث التي يعدها طلبة الدكتوراه سهم في التمرن على البحث العلمي على الأسلوب العصري الجديد ، وإن كان أكثرها لا تحمل قيمة كبيرة لكثرة الراغبين في ذلك وعدم وجود الإشراف الدقيق ، والتوجيه البصير الجاد في كثير من الجامعات ، ولكن بعضها تحمل الخصائص الحسنة التي اشتهرت بها كتابات

---

(١) وهي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وجامعة الرياض ، وجامعة الملك عبد العزيز في جدة ، وجامعة أم القرى في مكة ، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، وجامعة البترول في الظهران.

المستشرقين ، من جمع للمواد المبعثرة في مظانها وحسن تنظيمها ، والاستنتاج منها ، بجانب المزايا التي لا يقدر عليها إلا أبناء اللغة ، والناشئون في البيئة الإسلامية ، يذكر من ذلك ـ على سبيل المثال ـ كتاب «المجتمعات الإسلامية في القرن الأول» للدكتور شكري فيصل[(١)] ، وكتاب «أبو الكلام آزاد» رسالة جامعية للدكتور الشيخ عبد المنعم النمر (وزير الأوقاف بمصر سابقاً)[(٢)] وكتاب «مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ» للأستاذ أحمد إبراهيم الشريف المدرس في كلية الآداب جامعة عين شمس[(٣)] ، وكتاب «الطائف في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام» للدكتورة نادية حسين صقر[(٤)] ، وكتاب «بنو إسرائيل في القرآن والسنة» للدكتور محمد سيد الطنطاوي ، و«الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير» تأليف الدكتور رمزي نعناعة.

في إيران وتركية:

أما في إيران ، وتركية فمعرفتي بالنتاج العلمي التحقيقي فيهما قليلة ، أستثني من ذلك كتب الدكتور السيد حسين نصر باللغة الإنجليزية ، وهي على مستوى رفيع من البحث واللغة.

في المغرب العربي الإسلامي:

أما ما يتصل بالمغرب العربي الشمالي ، فما زالت المدرسة المغربية العربية الإسلامية ، تحمل طابعاً خاصاً يتسم بسعة الدراسة ، ونقاء اللغة ، والاطلاع الواسع على مصادر السنة ودواوين الحديث ، وقد كانت مؤلفات العلامة الشيخ عبد الحي الكتاني الحسني الإدريسي ، وخصوصاً كتابه

---

(١) قامت بنشره مكتبة المثنى ببغداد ، والخانجي بمصر سنة ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م).

(٢) وله كتاب «تاريخ الإسلام في الهند» وكتاب «كفاح المسلمين في تحرير الهند» من أحسن ما كتب مؤلف غير هندي عن المسلمين في الهند.

(٣) نشرته دار الفكر العربي في مصر.

(٤) طبع دار الشروق جدة ١٩٨١ م.

«التراتيب الإدارية» في نظام الحكومة النبوية أشبه بموسوعات علمية تحمل العلم الغزير والفوائد الكثيرة.

وقد نبغ في المغرب العربي مؤلفون باحثون تعمقوا في الدراسات الدينية وفهم مقاصد الشريعة الإسلامية، مثل العلامة زعيم المغرب الأستاذ علال الفاسي، والشيخ طاهر بن عاشور وابنه الفاضل: فاضل بن عاشور، والأساتذة مالك بن نبي، والأستاذ محمد بشير الإبراهيمي، ولا يزال الأساتذة محمد الفاسي، وعبد الله كنون، وعبد الكريم الخطيب، ومهدي بن عبود، وعبد السلام ياسين في المغرب الأقصى، والأساتذة الدكتور الحبيب بالخوجة، والشاذلي نيفر، وأحمد الحماني، يكتبون ويفيدون، ويثرون المكتبة العربية الإسلامية ببحوثهم وتحقيقاتهم، وهنالك كتاب وباحثون يظهرون على منبر «دعوة الحق» المغربية، والمجلات العلمية الصادرة من هذه الناحية في العالم العربي، يبشرون بمستقبل زاهر في مجال البحث والتفكير، من الصعب العسير استقصاء أسمائهم.

جهاد اليوم وواجبه المحتم:

وأختم هذا المقال بقطعة أستعيرها من كتابي «ردة ولا أبا بكر لها»: «إن جهاد اليوم وإن خلافة النبوة، وإن أعظم القربات، وأفضل العبادات أن تقاوم هذه الموجة اللادينية التي تجتاح العالم الإسلامي، وتغزو عقوله ومراكزه، وأن تعاد الثقة المفقودة إلى نفوس الشباب والطبقات المثقفة بمبادىء الإسلام وعقائده وحقائقه ونظمه، وبالرسالة المحمدية، وأن يزال القلق الفكري، والاضطراب النفسي اللذان يساوران الشباب المثقف، وأن يقنعوا بالإسلام عقلياً وثقافياً، وأن تحارب المبادىء الجاهلية التي رسخت في النفوس وسيطرت على العقول علمياً وعقلياً، وأن تحل محلها المبادىء الإسلامية باقتناع وإيمان وحماسة.

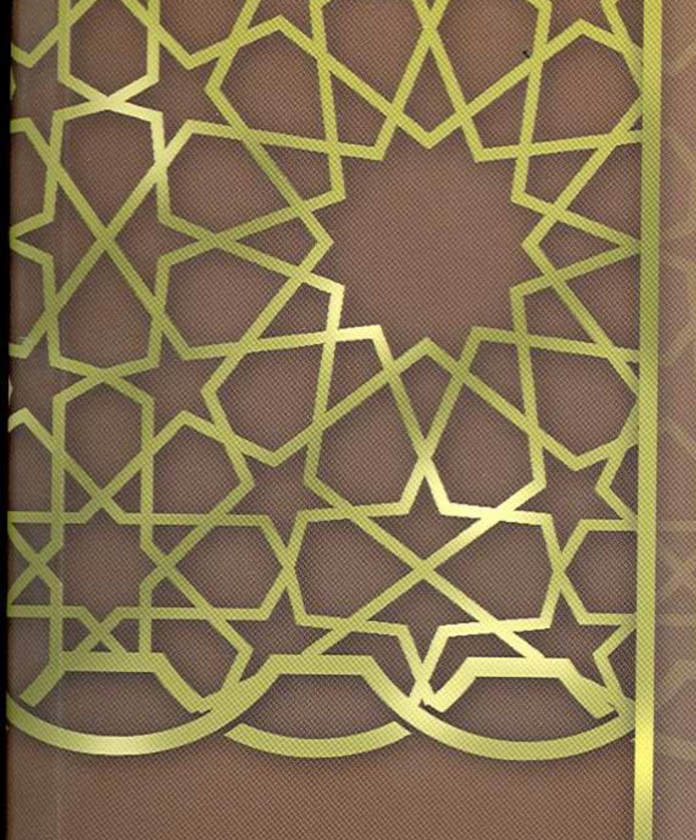
لقد مضى علينا قرن كامل وأوربة تغتصب شبابنا وعقولنا، وتنبت في

عقولنا الشك والإلحاد والنفاق وعدم الثقة بالحقائق الإيمانية والغيبية ، والإيمان بالفلسفات الجديدة الاقتصادية والسياسية ونحن معرضون عن مقاومتها، معتمدون على ما عندنا من تراث ، مضربون عن الإنتاج الجديد ، معرضون عن فلسفاتها ونظمها ومحاسبتها محاسبة علمية ، ونقدها وتشريحها كتشريح الأطباء الجراحين، متعللون بالبحوث السطحية المستعجلة، وبالزيادة في ثروتنا العلمية القديمة ، حتى فوجئنا في العصر الأخير بانهيار العالم الإسلامي في الإيمان والعقيدة ، وملك زمام الأمور في البلاد الإسلامية جيل لا يؤمن بمبادىء الإسلام وعقيدته، ولا يتحمس لها، ولا تربطه بالشعب المسلم المؤمن البريء إلا «القومية الإسلامية» أوالمصالح السياسية.

إن العالم الإسلامي في حاجة إلى منظمات علمية تهدف إلى إنتاج الأدب الإسلامي القوي الجديد الذي يعيد الشباب المثقف إلى الإسلام بمعناه الواسع من جديد ، ويحررهم من رق الفلسفات الغربية التي آمن بها كثير منهم بوعي ودراسة ، وأكثرهم بتقليد وتسليم ، ويقيم في عقولهم أسس الإسلام من جديد ، ويغذي عقولهم وقلوبهم ، إنه في حاجة إلى رجال في كل ناحية من نواحي عالم الإسلام عاكفين على هذا الجهاد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهرس



Research in Orientalism and The Orientalist

Articles By:
Sayyid Abul Hasan Ali Nadwi
Edited and Reviewed By:
Sayyid Abdul Majid Ghouri

هذا الكتاب

يحتوي هذا الكتاب على بحوث قيمة للعلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي ـ رحمه الله ـ حول موضوع الاستشراق والمستشرقين، اعترف فيها ـ إلى الحد الضروري المناسب وفق التعاليم الإسلامية الخلقية ـ بجهود المستشرقين وإنتاجهم، ثم انتقد عادة تلمُّسهم للنقص والمعايب حسب نظرهم، وتصيُّدهم لمواضع الضعف والنقد، وصرَّح بمنهجهم الخطير والنتائج الخطيرة للاعتماد الزائد في الأوساط العلمية على كتبهم والثقة الزائدة بهم.

ثم اعترض العلاَّمةُ بجهود العالم الإسلامي في الموضوعات الإسلامية، وذكر فيها ضخامة الإنتاج الإسلامي في العالم العربي والإسلامي باللغات الغربية، وتفوق الهند وميزتها، وإنتاج علمائها وكُتَّابها لمكتبة إسلامية قوية في اللغة الإنكليزية.

وسيلمسُ القارىء في هذه البحوث دقَّة نظر العلامة ـ رحمه الله ـ في كتابات المستشرقين وبحوثهم.

(من مقدمة الكتاب)

